بحث العمل Action research*

"طريقة لتنمية الكفاءات البحثية لدي المعلمين: "دراسة تحليلية"

إعداد
أ.د/ علي السيد الشخيبي
أستاذ أصول التربية، كلية التربية، جامعة عين شمس

أ.م.د/ هويدا محمود الإتربي
أستاذ أصول التربية المساعد، كلية التربية، جامعة طنطا

*لا يوجد اتفاق حتى الآن على ترجمة Action research حيث ترجمه البعض إلى بحث العمل والبعض الآخر بحث الفعل، وبعض آخر إلي البحث الإجرائى.

بحث العمل Action research*

"طريقة لتنمية الكفاءات البحثية لدي المعلمين: دراسة تحليلية

ملخص البحث:

واحدة من أصعب المشكلات التي تواجه التعليم في الدول النامية وتعوق مواكبتها لحركة التقدم والتنمية الشاملة والمستدامة، وتؤثر سلبًا على حل مشكلاتها، أن معظم البحوث والدراسات التربوية التي يتم تناولها في كليات التربية ومراكز البحوث التربوية تسير في اتجاه، والممارسات الواقعية التي يقوم بتنفيذها المعلمون والإداريون داخل حجرة الدراسة والمدرسة تسير في اتجاه آخر، معنى ذلك وجود فجوة كبيرة بين الأطر النظرية في التربية وممارساتها التطبيقية في الميدان التربوي، ومن هنا ظهر ما يطلق عليه بحث العمل أو الفعل Action research methodكمحاولة جادة لسد هذه الفجوة بين النظرية والتطبيق، وكذلك بين نتائج البحوث التربوية وتحسين الواقع التعليمي.

وبناءً على ذلك يتفق كثير من المتخصصين والمختصين على ضرورة الاهتمام الجاد بالتنمية المهنية للمعلمين من خلال مشاركتهم في البحث التربوي كباحثين معاونين Collaborative researchers، بحيث يحدث نوع من التفاعل الأكاديمي المهني بين التنظير والتطبيق، على أن يمارس المعلمون جزءًا من البحث العلمي المرتبط بعملهم المهني، ويمارس الباحثون التربويون جزءًا من العمل الميداني المرتبط بنظرياتهم ونتائج بحوثهم التربوية

ولتحقيق ذلك حاول هذا البحث أن يقدم للمعلم بحث العمل كأحد طرق البحث التطبيقي، والذى يعتمد على الأساليب الكمية والكيفية في التعامل مع مشكلاته، وذلك من خلال تحليل بعض تعريفات مفهوم بحث العمل في العلوم التربوية والاجتماعية، حيث يختلف تعريفه باختلاف كل من الزمان والمكان، والموقف الذى يستخدم فيه، ومن ثم يصعب أن يكون هناك تعريف شامل أو مطلق له، ومتابعة التطور التاريخي، وتحليل الأسس الفلسفية والتربوية لاستخدامه في التعليم، وبعض الاتجاهات والتجارب العالمية المعاصرة لاستخدامه، مع التركيز على أوجه التشابه والاختلاف بين منهج بحث العمل وطرق البحث العلمي الأخرى، ومجالات استخدامه في التربية، وخطواته البحثية، وخصائصه، والأسس العامة لاستخدامه، وأهميته للمعلم وبعض الأمثلة لتطبيقاته في حجرة الدراسة والمدرسة، والصعوبات التي تواجه استخداماته في التعليم، وخطواته وكيف

*لا يوجد اتفاق حتى الآن على ترجمة Action research حيث ترجمه البعض إلى بحث العمل والبعض الآخر بحث الفعل، وبعض آخر إلي البحث الإجرائى.

يطبقها المعلم كل في مجال تخصصه، وكيف ينعكس ذلك على تطوير المنظومة التعليمية في المجتمع العربي المعاصر.

وترجع أهميته إلى أنه يهدف إلى حل المشكلات في مواقع العمل مثل حجرة الدراسة أو المدرسة، ويوفر الحلول السريعة لمشكلات يصعب الانتظار عليها حتى تقدم البحوث والدراسات التي تتم في كليات التربية والمراكز البحثية حلولاً لها، ويساعد على تضيق الفجوة بين البحث التربوي التقليدي وممارسات المعلم داخل الفصل والمدرسة، ويساعد المعلم على تطبيق أسلوب التقويم الذاتي لممارساته، ويساعد على تبادل الخبرات والمهارات والمعلومات البحثية بين المعلمين، والمسئولين في المستويات الإدارية الأعلى على تقويم أداء المعلمين بطريقة أكثر دقة، والمعلمين على الوقوف على ما هو جديد من اتجاهات وتجارب تربوية عالمية.

ويري الباحثان أن هذه الدراسة وما تتوصل إليه من نتائج وتوصيات يمكن أن تقدم مجالات جديدة للبحث العلمي نظرًا لحداثة موضوعها في المجتمع المصري، وفى ختام الدراسة –لاستكمال الفائدة –أوصى الباحثان بإجراء مجموعة من الدراسات.

الكلمات المفتاحية: بحث العمل، الكفاءات البحثية

مقدمة:

يرى بعض المهتمين بالبحث التربوي أن واحدة من أصعب المشكلات التي تواجه التعليم في الدول النامية وتعوق مواكبتها لحركة التقدم والتنمية الشاملة والمستدامة، وتؤثر سلبًا في مخرجاتها وحل مشكلاتها، أن معظم البحوث والدراسات التربوية التي يتم تناولها في كليات التربية ومراكز البحوث التربوية تسير فى اتجاه، والممارسات الواقعية التى يقوم بتنفيذها المعلمون والإداريون داخل حجرة الدراسة والمدرسة تسير فى اتجاه آخر، معنى ذلك وجود فجوة كبيرة بين الأطر النظرية فى التربية وممارساتها التطبيقية فى الميدان التربوي، ومن هنا ظهر ما يطلق عليه بحث العمل أو الفعل **Action research method** كمحاولة جادة لسد هذه الفجوة بين النظرية والتطبيق، وكذلك بين نتائج البحوث التربوية وتحسين الواقع التعليمى، أى أنه يهدف إلى إعادة التوازن بين النظرية والممارسة داخل حجرات الدراسة والمدارس(Best & Kahn, 1993, 20)، وخاصة أن كثيرًا من المهتمين بالبحث التربوي قد أيقنوا أن معظم طرق المنهج العلمى السائدة فى التربية لم تستطع الوصول إلى واقع كثير من المشكلات التى تحدث داخل حجرة الدراسة والمدرسة، أوتقديم حلول مباشرة وسريعة لها؛ ذلك لأن هذه الطرق لم تشرك المعلم كممارس **Practioner** وباحث **Researcher** في حل بعض المشكلات التربوية التى تتعرض لها.

وترى ساندريتو Sandretto (Sandretto,2007,2) أن مصطلح بحث العمل جاء ليصف مجموعة مترابطة من طرق البحث تشترك في أهدافها بداية من التأكيد على التفكير أو التأمل الشخصى إلى تحقيق العدالة الاجتماعية للجماعات الضعيفة، ويشمل هذا المصطلح كلا من: بحث العمل التطورى Developmental action research، وبحث الممارسPractioner، بحث العمل التشاركى Participatory action research، البحث التعاونى Collaporative research، علم العمل Action science، بحث عمل حجرة الدراسة Classroom action research، بحث العمل النقدى Critical action research، وقد أطلقت سوزان نوفايك Suzan Nofike على هذه المجموعة من الطرق اسم الأسرة الكبيرة، وإن كانت تختلف كل طريقة منها عن الأخرى،وتطلق عليه كل من فوشىFouhe وشاب Shubb اسم المنهج الإجرائي (Fouche&Shubb, 2017,33)

وبناءً على ذلك اتفق بعض المهتمين على ضرورة مشاركة المعلمين فى البحث التربوى كباحثين معاونين Collaborative researchers، بحيث يحدث نوع من التفاعل الأكاديمي المهني، على أن يمارس المعلمون جزءًا من البحث العلمى المرتبط بعملهم المهنى، ويمارس الباحثون التربويون جزءًا من العمل الميدانى المرتبط بنظرياتهم ونتائج بحوثهم التربوية، ويستند هؤلاء المهتمون بمنهج بحث العمل إلى ما أشار إليه استنهاوس Stenhouse عام ١٩٧٥ بقوله " لم يعد كافيًا أن تتم دراسة عمل المعلم من جانب الآخرين فقط، ولكنه أصبح فى حاجة إلى دراسته بنفسه أيضًا" (Mekernan,1991, 21)، وكذلك قوله عام ١٩٨١: " يجب على الباحثين أن ينظروا إلى أنفسهم كممارسين ويجب أن ينظر الممارسون إلى أنفسهم كباحثين، وعلى أصحاب التنظير أن يمارسوا تطبيق نظرياتهم، وعلى الممارسين أن يقضوا جزءًا من وقتهم فى تنظير ممارستهم (Mekeman,1991, 21).

وبحث العمل هو أحد طرق المنهج العلمي الذي يهدف إلى محاولة حل بعض المشكلات الواقعية التى تحدث داخل حجرة الدراسة أو المدرسة، أي أنه يهتم بمحاولة حل مشكلة معينة فى بيئة محددة أكثر من اهتمامه بمحاولة تعميم حل هذه المشكلة، وأنه يركز على تقديم حل لمشكلة محددة فى بيئة ما فى المقام الأول، ثم يأتى بعد ذلك تركيزه على إضافة علمية جديدة، بمعنى أن إنتاج معرفة جديدة يأتى فى المرتبة الثانية (Dalen& Meyar,1962, 48).

هذا بالإضافة إلى أن النتائج التى يتوصل إليها منهج بحث العمل غالبًا ما تكون أكثر صدقًا؛ وذلك بسبب مشاركة المعلم الممارس فى حل المشكلة كباحث، وأن هذا المنهج يقوم بمحاولة حل بعض المشكلات الملحة بطريقة سريعة مباشرة وخاصة إذا كانت هذه المشكلات لا تتحمل انتظار نتائج البحوث التربوية النظرية.

وقد أشار ماكرنان Mekernan إلى أن أهمية بحث العمل ومبررات استخدامه ترجع إلى ثلاثة أمور هى:

١. أن الأوضاع والمواقف الحياتية والطبيعية يمكن أن تكون دراستها أفضل عن طريق هؤلاء الممارسين المشاركين الذين لديهم خبرات أكثر ارتباطًا بواقع هذه المواقف والأوضاع.

٢. أن السلوك أكثر تأثرًا بالظروف المحيطة به وبالبيئة المباشرة التى يحدث فيها.

٣. أن طرق البحث الكمىQuantitative والكيفى أو النوعى Qualitative methods– ومنها بحث العمل – ربما تكون أفضل وأكثر مناسبة لبحث الأوضاع والمواقف الطبيعية فى البيئة المدرسية.

هذا بالإضافة إلى أن بحوث العمل هى إحدى طرق حل المشكلة التى يمكن تنعكس على الذات، وتساعد الممارسين على أن يكونوا أكثر فهمًا للمشكلات التى تواجههم أثناء عملهم، وترجع أهمية نتائجها إلى أنها تساعد الباحثين أن يكونوا أكثر فاعلية، ويعملون بطريقة أكثر ذكاءً، وأنها تدعو المعلم إلى ضرورة تحسين أدائه لعمله من خلال دراسته لهذا العمل وتقويمه ذاتيًا بطريقة علمية واقعية (Mekernan,1991, 6).

والمعلم هو العنصر البشرى الرئيس في المنظومة التعليمية ويعتمد نجاحها وتحقيق أهدافها على ما لديه من كفاءات مهنية وأكاديمية وشخصية، فإلى جانب كونه مسئولًا مباشرة عن التنمية الشاملة للمتعلم داخل المنظومة التعليمية، فإن له دورًا حيويًا في مساعدة أبناء المجتمع ككل في تحسين معلوماتهم ومهاراتهم واتجاهاتهم التي تسهم في بناء المواطنة، ومن ثم يجب ألا يتوقف عمله على تنفيذ مقترحات الباحثين الخارجيين ونتائج بحوثهم، ولكن يجب أن ينظر إليه مفكرًا وباحثًا وصاحب رأى وحلول للمشكلات خاصة المرتبطة بعناصر المنظومة التعليمية داخل حجرة الدراسة والمدرسة التي ينظر إليها على أنها مملكته الخاصة وعرينه الذى يتربع على عرشه، دون مشاركة مباشرة من غيره، والأكثر معرفة ودراية بما يدور فيها من تفاعلات وطموحات ومشكلات.

ويستخدم بحث العمل في كثير من برامج إعداد المعلم بهدف تنمية مهارات البحث والتفكير والتأمل لدى الطلاب المعلمين، وقد اتفق بعض معلمى المعلمين الذين شاركوا في برامج إعداد المعلمين قبل الخدمة على أن الطلاب المعلمين يكونون أكثر تفكيرًا وتأملًا ونقدًا وتحليلًا لسلوكياتهم التدريسية داخل حجرة الدراسة، ويؤكدون أن الطلاب المعلمين إذا تم تدريبهم على استخدام بحث العمل سيكونون أكثر استمرارية لاستخدامه خلال حياتهم الوظيفية، ويشير ليبرمان Lieberman إلى أنه إذا أتيحت الفرصة للمعلمين على التفكير والمناقشة والتجريب واستخدام الممارسات الجديدة سيكونون نشيطون

كمعلمين باحثين خلال حياتهم الوظيفية وسيكون بحث العمل أحد الأدوار الأساسية كمهنيين (Rock &Levin,2002, 9).

ونظرا لندرة البحوث والدراسات التي يشارك فيها المعلم في مجتمعنا وإبعاده عن المشاركة الفعلية في الموضوعات التي يمثل بؤرتها ومن الواجب أن يكون له رأى وفعل في هذه الموضوعات وما يرتبط بها من قضايا ومشكلات وتطورات، ومن ثم فإن بحث العمل هو أنسب الطرق البحثية التي تحقق هذا الهدف.

وفى مجتمعنا المصري المعاصر تعاني مدارسنا العديد من المشكلات اليومية ذات التأثير السلبي في أدائها، والتي في حاجة إلى حلول سريعة ومباشرة ولا تحتاج إلى تفكير وتنفيذ طويل المدى، أو فريق عمل يتولى حلها، ومن ثم فإن هذه المشكلات يمكن أن يشارك المعلم في معالجتها سواء على المستوى البحثى أو التنفيذي.

مشكلة الدراسة وأهدافها:

رغم التطورات العالمية في مجال البحث العلمي ومشاركة معظم العاملين وخاصة المعلمين في المنظومة التعليمية في العمل البحثي لمواجهة مشكلاتهم وتطوير أدائهم ومهنتهم، فإن مصر من الدول التي مازالت بعيدة عن مشاركة المعلمين في بحث مشكلاتهم، وربما يرجع ذلك إلى مجموعة من العوامل.

وبناءً على ذلك تحاول هذه الدراسة أن تقدم للمعلم ومدير المدرسة طريقة بحث العمل من خلال المقصود ببحث العمل فى التربية، والأسس الفلسفية والتاريخية لاستخدامه فى التعليم، والاتجاهات العالمية المعاصرة لاستخدامه، مع التركيز على أوجه التشابه والاختلاف بين منهج بحث العمل وطرق البحث العلمى الأخرى ومجالاته فى التربية، وخطواته البحثية، وخصائصه، والأسس العامة لاستخدامه، وأهميته للمعلم وأخيرًا بعض الصعوبات التى تواجه استخداماته فى التعليم.

ولكي تحقق الدراسة أهدافها فإنها ستحاول الإجابة عن الأسئلة البحثية التالية:

١- ما المقصود ببحث العمل فى الفكر التربوى الاجتماعى المعاصر؟

٢- ما الأسس التاريخية والفلسفية والتربوية لبحث العمل؟ وما خصائصه وأهميته للمعلم؟

٣- ما أوجه التشابه والاختلاف بين بحث العمل والمناهج العلمية الأخرى؟

٤- ما خطوات تطبيق بحث العمل ومجالاته في التربية؟

٥- ما مسئوليات المعلم في تطبيق بحث العمل؟

٦- ما نماذج وتطبيقات بحث العمل في التربية؟

أهمية الدراسة: تتمثل أهمية هذه الدراسة في:

١) الأهمية النظرية: يمكن أن تسهم هذه الدراسة وما تتوصل إليه من نتائج وتوصيات في:

- **إثراء مجال البحث التربوي الذي في حاجة ضرورية إلى طرق وأساليب بحثية تساعد فى حل المشكلات الواقعية التى تعانى منها المنظومة التعليمية فى مجتمعنا العربي المعاصر.**
- **تتيح للمعلم ومدير المدرسة العربي الحصول على معلومات بحثية جديدة تساعده فى المشاركة الفعالة فى بحث المشكلات التى يعانى منها داخل حجرة الدراسة والمدرسة وتعوق أداءه مهام وظيفته.**
- **يمكن أن يزود المعلم ومدير المدرسة بأهمية دورهم البحثى الذى لم يعدوا له من قبل.**
- **تمثل هذه الدراسة واحدة من الدراسات العربية في مجال بحث العمل.**

(٢) الأهمية التطبيقية: يمكن أن تساعد هذه الدراسة وما تتوصل إليه من نتائج في:

- **مساعدة المسئولين عن المنظومة التعليمية فى الوطن العربي فى إعادة النظر فى أداء المعلم ومدير المدرسة على أن يكونوا مشاركين فى البحث العلمى لحل مشكلاتهم الواقعية.**
- **تدريب المعلمين ومديرى المدارس على كيفية استخدام بحوث العمل فى تنفيذ مهام عملهم.**
- **تضمين بحث العمل في برامج إعداد المعلم بكليات التربية وبرامج التنمية المهنية وتدريبه عليه حتى يكون على دراية وخبرة.**

منهج الدراسة: نظراً لطبيعة مشكلة هذه الدراسة وأهدافها النظرية فقد اعتمدت على أسلوب التحليل الفلسفي في تحليل المفاهيم، والمنهج الوصفي في التعامل مع واقع مشكلة الدراسة.

إجراءات الدراسة:

لكي تجيب الدراسة على أسئلة المشكلة وتحقق الهدف منها، فإنها تناولت المحاور الآتية:

المحور الأول: الإطار المفاهيمي لمنهج بحث العمل

يختلف المهتمون ببحث العمل حول النظر إليه، فالبعض ينظر إليه على أنه منهج علمي تتوافر فيه شروط وخصائص المنهج العلمي، ويرى البعض الآخر أنه منهج تطبيقي له طبيعة خاصة حيث يعتمد علي أساليب وأدوات كل من المناهج الكمية Quantitativeوالمناهج الكيفية Qualitative هذا من ناحية، ومن ناحية ثالثة يشير البعض إلى أنه مدخل Approach أو عملية Process أو استراتيجية Strategy.

أولاً: مفهوم بحث العمل

مصطلح بحث العمل مصطلح نسبى، يختلف تعريفه باختلاف كل من الزمان والمكان، والموقف الذى يستخدم فيه، ومن ثم يصعب أن يكون

هناك تعريف شامل أو مطلق له، ونتيجة لذلك ظهرت محاولات من جانب بعض الباحثين والمهتمين بالعلوم الاجتماعية بصفة عامة والعلوم التربوية بصفة خاصة لتعريف هذا المنهج.

ولبحث العمل مسميات عديدة منها البحث المشارك Participator research ، البحث التعاوني Collaborative research، تعلم العمل Action learning، بحث العمل السياقى Contextual action research (Segal,2009,43)، ففي العلوم الاجتماعية قدم كل من كار Carr وكيميس Kemmis(Carr & kemmis, 1989,165-166) تعريفًا لبحث العمل بأنه إحدى صور الاستقصاء الذاتي –Self enquiry التي يستخدمها المشاركون في المواقف الاجتماعية بهدف تقويم ممارساتهم الذاتية، والعمل على تحسينها وتطويرها، بالإضافة إلى تحسين المواقف الحياتية الطبيعية التي يتم من خلالها تنفيذ هذه الممارسة.

أما ماكرنان Mckernan(Mckernan,1987, 23) فقد أشار إليه بأنه نوع من البحوث العلمية التى يقوم بها الممارسون بهدف حل المشكلات الخاصة بعملهم، وتحسين ممارساتهم لهذا العمل، وأنه صورة متطورة للنمو المهنى للممارسين تعتمد على التقويم الذاتى، وهو نشاط اجتماعى يعتمد على مجموعة من الأفراد يتم التفاعل بينهم على أساس من التعاون، وهو أيديولوجية نتعلم من خلالها أن الممارسين للعملية التعليمية يمكن أن يكونوا منتجين للبحث العلمي بالإضافة إلى كونهم مستهلكين.

هذا بالإضافة إلى أنه محاولة لتقديم الموقف الاجتماعى المشكل Problematic Social Situation بطريقة أكثر فهمًا، وتحسين نوعية الحياة فى هذا الموقف. وقد

أضاف رابوبورت Rapopprt (Rapopprt,2000,501) إلى ذلك بقوله إن بحث العمل عبارة عن محاولة تهدف إلى مساهمة الممارسين في حل الموقف الواقعي المشكل المباشر، وذلك من خلال التعاون مع القائمين على تحقيق أهداف العلوم الاجتماعية، وأن يتم هذا التعاون على أساس قيمي مقبول اجتماعيًا، وأن بحث العمل نمط من أنماط البحوث النظرية التطبيقية الذى يشارك فيه الممارسون الذين يعيشون المشكلات مباشرة بهدف الوصول إلى حل سريع ومباشر للموقف المشكل. هذا بالإضافة إلى أن منهج بحث العمل يمكن أن يقدم إضافة أو إسهامًا فى الإطار النظري للعلوم الاجتماعية.

أما فى العلوم التربوية فهناك محاولات لتعريف بحث العمل منها ما قدمه ووكر Walker (Walker, 1988, 149) بأنه يشير إلى ما يقوم به المعلمون كأصحاب مهنة وممارسين لها من بحث يشاركون من خلاله فى دراسة ممارستهم التربوية الخاصة، ويساهمون بخبراتهم وبصيرتهم فى تطوير فهمهم لهذه الممارسة وإحداث تجديدات وتحسينات فيها، بالإضافة إلى مشاركتهم فى تطوير العملية التعليميةً بوجه عام فى المستقبل.

أما إليوت Elliott فقد عرفه بأنه أحد المناهج العلمية الذى يهتم بالبحث فى المشكلات اليومية العملية الواقعية التى يواجهها المعلمون داخل حجرة الدراسة، والمديرون والمشرفون داخل المدرسة بهدف إيجاد حلولًا لها بدلاً من تلك المشكلات النظرية التى تحدد عن طريق باحثين نظريين –في الجامعات والمراكز البحثية - ضمن نظام من المعلومات النظرية، وأن تنفيذ هذا المنهج يتحقق عن طريق المعلمين وحدهم، أو بمشاركة باحثين آخرين معهم والذين يطلق عليهم الباحثون من الخارج (Elliott, 1991,319) Outside researchers.

ويعرفه رابوبورت (Rapoport,2000,499) بأنه دراسة نقدية لوضع معين ليس بهدف إضافة معلومات علمية إلى مخزن المعلومات، بقدر ما يؤدى إلى تحسين عملى للموقف الذى تمت دراسته. ويهدف إلى تحقيق هدفين: أحدهما تطوير اتجاه المعلم المتدرب أو مساعدته على تطوير اتجاهه نحو البحث والتجربة اللذين يأخذان بيده لاستمرار استخدام الطرق الحديثة فى عمله، وثانيهما مساعدة المعلم على اكتساب القدرة على التعامل مع تجربة بسيطة ثم التخطيط لحل مشكلة حقيقية عادة ما تواجهه خلال عمله فى الميدان سواء كانت هذه المشكلة سلوكية أم تعليمية، وأشار نورتون Norton إلى أن بحوث العمل تزود القراء بالنصيحة العملية فى كيفية البحث فى ممارساتهم الخاصة داخل بيئة المدرسة(Norton,2012) .

ويعرفه إليوت J.Elliot بأنه العملية التي يتم خلالها التعاون بين المعلمين في تقويم ممارساتهم واقتراح استراتيجيات تطويرها في شكل منظم يساعد المعلمين الآخرين في فهمه والاستفادة منه(Elliot,1991,28)،ويعرفه جلانز Glanz بأنه شكل من أشكال

البحث المنظم الذى ظهر كطريقة عامة يشارك فيها المعلمون والممارسون والمشرفون لمساعدتهم في فهم عملهم وتطويره بطريقة أفضل(Glanz,1999,56) .

وبحث العمل شكل من البحث المنظم الذي ظهر كطريقة عامة تشمل الممارسين والمعلمين والمشرفين لفهم عملهم بطريقة أفضل، ويمكن أن يكون بحث العمل بسيطًا كصياغة سؤال عن بعض الممارسات التعليمية وجمع المعلومات للإجابة عن السؤال، ويمكن أن يكون معقدًا باستخدام T test لتحديد ما إذا كانت نتائج الاختبار البعدي ناتجة عن المجموعة التجريبية ذات دلالة إحصائية، وقدم هاين Hine تعريفا لبحث العمل على أنه اختيار جاذب للمعلمين ومديري المدارس وغيرهم من المساهمين في المنظومة التعليمية Stakeholders الذين لديهم الرغبة في البحث، ويشير إلى عملية دراسة الموقف التعليمى بهدف فهم العملية التعليمية، وتزويد الممارسين بالمعلومات الجديدة، وفهمهم لكيفية تحسين العملية التعليمية ، وحل المشكلات الصعبة في حجرة الدراسة والمدرسة، وتيسير التنمية المهنية.(Hine,2011, 152)

ويمكن أن يتضمن بحث العمل تطبيق المناهج البحثية التقليدية مثل الاثنوجرافي والوصفي وشبه التجريبي وحل المشكلات أو القضايا الواقعية التي تواجه الممارسين، ونظرًا لاستخدام بحث العمل لعينات صغيرة فإنه يصعب تعميم نتائجه(Glanz,1999,54).

وقد أشار يونج Youngوزملاؤه إلى أن بحث العمل من خلاله يتعاون المعلمون في تقويم ممارساتهم وفقًا لمعايير علمية موضوعية جيدة، وتنمية وعيهم بنظرياتهم الشخصية، وتبنى مفهوم مشترك للقيم، وتجربة استراتيجيات تدريس جديدة للاستفادة من القيم التي تعبر عن ممارساتهم الأكثر استمرارية، وتسجيل أعمالهم بطريقة منظمة وميسرة بحيث يفهمها المعلمون الآخرون، وتنمية نظرية مشتركة للتدريس عن طريق الممارسات البحثية.(Young et.al. 2010,62)

وبحوث العمل نوعان: بحوث العمل فى حجرة الدراسة Classroom action research التى تتم داخل حجرة الدراسة، وينفذه فى الغالب معلم واحد، وعدد محدد من المشاركين، ويتعامل مع مشروعات وبرامج محددة، ويركز على موضوع محدد، وبحوث العمل فى المدرسةSchool action research والذي يتم تنفيذه على مستوى المدرسة ككل، ويتعامل مع موضوع يخص المدرسة ككل، ويشارك فيه فريق عمل يمثل المدرسة.

وعلى ضوء هذه التعريفات يمكن أن يقدم الباحثان تعريفًا لبحث العمل بأنه: أحد مناهج البحث العلمي، الذى يهتم بالبحث فى مشكلة واقعية مباشرة فى زمان ومكان معين، يشارك فى تطبيقه المعلمون وغيرهم من ممارسي العملية التربوية كعنصر أساسي، ويهدف إلى جانب حل المشكلة تحسين ممارستهم التربوية وتحسين الموقف التعليمى والعلاقات الاجتماعية المتضمنة فى هذا الموقف، وتحسين العملية التعليمية ككل، وهو

منهج منظم يعتمد على الإجراءات العلمية، وللمشاركين فيه حق التقويم الذاتى لممارستهم التعليمية وإحداث تعديلات فيها.

ويمكن أن نستنتج مما سبق أن بحث العمل:

- شكل صادق للبحوث التطبيقية Applied research، يستخدم الطريقة العلمية فى حل المشكلات اليومية.
- يستخدم الأساليب والأدوات الكمية والكيفية فى حل المشكلات.
- يعمل من خلال المعلمين ولمصلحة المعلمين.
- يحسن العملية التدريسية ويطورها.
- مفيد جدا للمشاركين فيه.
- يستخدم دائرة حلزونية cycle تربط بين العمل والتأمل النقدى Critical reflection.

وهنا يمكن القول أن مناقشة بحث العمل غالبًا ما تتم بلغة الفجوة الموجودة بين النظرية التقليدية والممارسة التربوية، حيث يشير استنهاوس Stenhouse((Stenhouse,1967, 13) – كما سبق أن ذكرنا – إلى أن الباحثين يجب أن ينظروا إلى أنفسهم كممارسين، وأن الممارسين يجب أن ينظروا إلى أنفسهم كباحثين، وأن أصحاب النظريات يجب أن يمارسوا نظرياتهم كممارسين مهنيين، ويجب على الممارسين أن يقضوا جزءًا من عملهم فى تنظير ممارساتهم. ومن ثمَّ فإن إحدى الركائز الأساسية لبحث العمل هى المشاركة Participation من جانب المعلمين فى عملية البحث عن حلول للمشكلات الواقعية التى تعوق عملهم داخل حجرة الدراسة، مثال ذلك الدراسات التى تهتم بتطوير المناهج الدراسية التى تعتمد أساسًا على ما يدور داخل حجرات الدراسة، ونظرًا لأن وظيفة المعلم تنفيذ نتائج هذه الدراسات، فمن الضرورى أن يكون له دور فى تعريف الباحثين بما يدور داخل حجرات الدراسة ومدى علاقتها بتنفيذ هذه النتائج.

وبحث العمل هى العملية التى يتعاون فيها المعلمون فى تدعيم ممارساتهم بالمشاركة، ويرفع من مستوى وعيهم بعملهم، وتجريب استراتيجيات جديدة للقيم المعبرة عن ممارساتهم والتى تكون أكثر ارتباطًا بالقيم التربوية التي يعملون وفقًا لها.

وبالنسبة للمعلم فإن بحث العمل يستخدم فى تحسين ممارساته التدريسية، حيث يبدأ بتحديده للمشكلة وكيف يتعامل مع هذه المشكلة من خلال تنفيذ سلسلة من الخطوات تبدأ بالتأمل، فالتخطيط، فالفعل أو العمل، فالملاحظة، ويطلق عليها دائرة بحث العمل Action Research Cycle كما هو موضح في الشكل (١).

شكل (١) دائرة بحث العمل Action research cycle

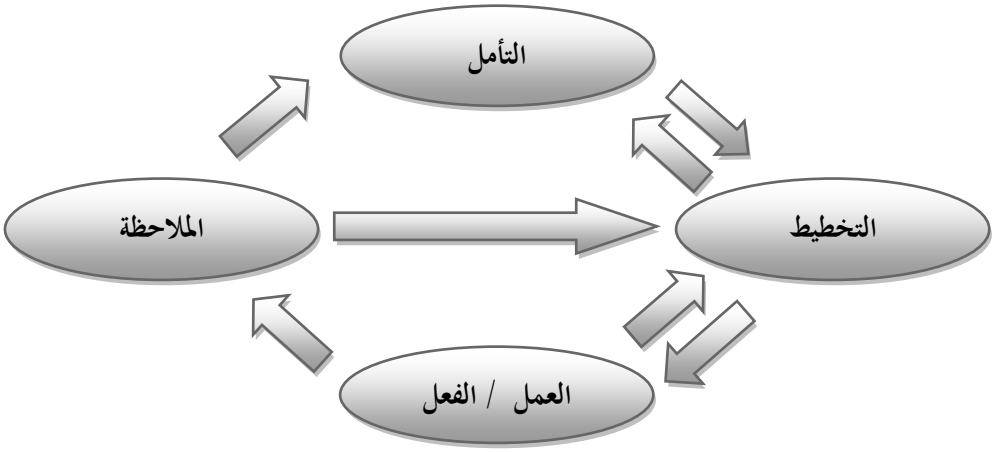

Source: (Creswell,2008, 74)

بمعنى أنه أحد أساليب حل المشكلة حيث تتحدد المشكلة مع هدف التحسين أو الحل، ثم يقوم الباحث بجمع البيانات ويختار أساليب جديدة أو يقوم بإجراء تعديلات أو تغييرات فى الممارسات ليرى ما إذا كان لها تأثير على الحل. (Segal, 2009, 102)

ويمكن أن يكون بحث العمل بسيطًا كصياغة سؤال عن بعض الممارسات التربوية وجمعًا لمعلومات للإجابة عن هذا السؤال، ويمكن أن يكون معقدًا أو مركبًا يستخدم فيه أسلوب T-test الإحصائى للتحقق ما إذا كانت نتائج الاختبار البعدى للمجموعة التجريبية ذات دلالة إحصائية أم لا. ويمكن لبحث العمل الاستفادة من الأساليب البحثية التقليدية مثل المنهج الإثنوجرافى والمنهج الوصفى والمنهج شبه التجريبى في حل المشكلات أو القضايا الواقعية التي تواجه الممارسين، ونظرًا لاستخدام بحث العمل عينات صغيرة الحجم فإنه يصعب تعميم نتائجه.

ثانيًا: أهمية بحث العمل

ترجع أهمية بحث العمل أو الفعل في التربية بوجه عام وللمعلم بوجه خاص إلى ما يلي (Rapaport, 2002,508)

١. يهدف إلى حل مشكلة ما فى موقع عملي مثل حجرة الدراسة أو المدرسة.

٢. يوفر الحلول السريعة للمشكلات التي يصعب الانتظار عليها حتى تقدم البحوث والدراسات التى تتم فى كليات التربية والمراكز البحثية حلولاً لها.

٣. يساعد على تضييق الفجوة بين البحث التربوي التقليدي وممارسات المعلم داخل الفصل والمدرسة.

٤. يساعد المعلم على تطبيق أسلوب التقويم الذاتى لممارساته.

٥. يساعد على تبادل الخبرات والمهارات والمعلومات البحثية بين المعلمين.

٦. يساعد المسئولين فى المستويات الإدارية الأعلى على تقويم أداء المعلمين بطريقة أكثر دقة.

٧. يساعد المعلمين على الوقوف على ما هو جديد من اتجاهات وتجارب تربوية عالمية.

٨. يساعد المعلم على تنمية مهارات التفكير العلمى فى حل المشكلات.

٩. يساعد فى تطوير عناصر العملية التعليمية من إدارة، ومناهج وطرق تدريس، ووسائل تعليمية.....إلخ.

١٠. يرفع مستوى المعلمين فى استثمار الوقت عند تحديد المشكلات التى يعانون منها وتسميتها.

١١. يساعد فى تحقيق التعاون بين المعلمين من ناحية، وبينهم وبين الباحثين الخارجيين من ناحية ثانية.

ثالثًا: أنماط بحث العمل

توجد أنماط متعددة لبحث العمل وفقًا لطبيعة المشاركين وطبيعة عملهم (Segal, Alberta University, 2000,27) (2009,83، ومن هذه الأنماط:

١-بحث المعلم الفردي Individual teacher research

ويركز هذا النمط على مشكلة واحدة تعاني منها حجرة دراسة معينة، ويقوم بتنفيذه معلم واحد، ومن المشكلات التي يتعامل معها ما هو مرتبط بإدارة الفصل واستراتيجيات

التدريس واستخدام الوسائل والمواد التعليمية، وتعليم وتعلم التلاميذ، ويمكن للمعلم أن يستفيد من دعم ومساعدة المشرفين والمديرين وأولياء الأمور أو معلمين يقومون بتدريس نفس المقرر، وهنا يكون المعلم الباحث والمنفذ.

وتتمثل نقطة الضعف في هذا البحث أنه يصعب مشاركة الآخرين ما لم يقدم المعلم نتائج بحثه إما في اجتماع عام لأعضاء هيئة التدريس بالمدرسة، أو عرض نتائجه في مؤتمر رسمي أو نشر البحث في دورية علمية

٢-بحث العمل التعاونيCollaborative action research

ويتم داخل حجرة الدراسة، ويتكون فريق هذا النمط من عدد إثنين معلمين فأكثر، ويهتم بالمشكلات والقضايا التي تخص عدد من المعلمين في حجرة دراسة واحدة أو مشكلة أو قضية تخص حجرات دراسة مختلفة، وبمكن لفريق البحث أن يحصل على مساعدة من خارج المدرسة سواء من أعضاء هيئة التدريس بالجامعة أم خبراء من المجتمع المحلى

٣-بحث العمل المدرسي School wide research

ويركز هذا النمط على قضايا مدرسية عامة تهم الأفراد الذين لديهم علاقة بالعمل المدرسى من أولياء أمور وغيرهم، ويكون مشاركة أعضاء الفريق إيجابية في تحديد الأسئلة وجمع البيانات وتحليلها واتخاذ قرارات ووضع خطة للعمل، ومثال ذلك البحث في تحديد مستوى التحصيل الدراسى لتلاميذ المدرسة مقارنة بالمستوى العام لتلاميذ المحافظة وتقويمه ووضع خطة لتحسين مستواه.

٤-البحث على مستوى المنطقة أو الإدارة District wide research

وهو أكثر أنماط بحث العمل تعقيدا، حيث يعتمد على مصادر أكثر، ويشارك في تخطيطه وتنفيذه عدد أكبر من الأفراد من داخل المدرسة والمجتمع المحلى، ويوجه اهتمامه إلى المشكلات والقضايا المؤسسية والمجتمعية العامة، ويوضح الشكل التالي أوجه التشابه والاختلاف بين أنماط بحث العمل

شكل (٢) أوجه التشابه والاختلاف بين أنماط بحث العمل

نمط بحث العمل / وجه المقارنة	بحث المعلم الفرد	بحث العمل التعاوني بين المعلمين في حجرة الدراسة	بحث العمل المدرسي	بحث عمل المنطقة أو الإدارة

التركيز	مشكلة صفية واحدة تواجه معلم واحد	مشكلة تهم أكثر من معلم فى حجرات دراسية مختلفة، أو داخل الفصل الواحد	مشكلة على مستوى المدرسة	مشكلة على مستوى الإدارة أو المنطقة أو البنية التنظيمية
الدعم المحتمل المطلوب	مدرب/ متابع/ استخدام التكنولوجيا/ المساعدة فى تحليل البيانات	معلمين بدلاء/ تحرير الوقت/ علاقة قوية مع الإداريين	الالتزام المدرسي/ القيادة/ التواصل/ الشركاء من الخارج	إلتزام الإدارة/ الميسر/ المسجل/ التواصل/ الشركاء من الخارج
الأثر المحتمل	المنهج/ التعليم/ التقويم	المهج/ التعليم/ التقويم/ السياسة	إعادة بناء أو هيكلة المدرسة/ تغيير السياسة/ مشاركة الوالدين/ تقويم البرامج	تحديد المصادر/ التنمية المهنية والأنشطة/ البناء المؤسسي/ السياسة
الآثار الأجنبية	الممارسة الزودة بالبيانات/ المعلومات ليست دائما مشتركة	الزمالة المحسنة تشكيل الشراكة	الزمالة المحسنة التعاون/ التواصل/ بناء الفرق/ عدم الاتفاق على العملية	الزمالة المحسنة التعاون/ التواصل/ بناء الفرق/ عدم الاتفاق على العملية/ الرؤية المشتركة

المصدر: الشكل من إعداد الباحثين

وتوجد ثلاثة صور أو أشكال لبحث العمل هي:

١-أعمال فردية: يقوم بها المعلمون والمربون بشكل شخصي أو مجموعة معًا.

٢-فريق متعاون أو مجموعة تركز على قضية معينة.

٣-مجموعة من الممارسين على مستوي المدرسة أو المنطقة تعمل لحل مشكلة أو إجراء تغيير(Alberta University,2000, 3)

وبحث العمل هو عملية حل المشكلة بطريقة عملية ملموسة لتحسين العملية التعليمية، ويعتمد على العمل مع المشاركين وليس عليهم في المواقف الطبيعية، وترجع أهميته ليس للمعلمين فقط ولكن يتعدى ذلك إلى المتعلمين، الذين يتعلمون أفضل الطرق والأساليب في التعليم والتعلم التي يتوصل إليها بحث العمل، ويعطيهم فهمًا أفضل لعملية تعلمهم للأسباب الآتية(Kizilaslan, 2011, 4) :

١- أنه يعتمد على الممارسة

٢- يركز على التعلم

٣- يهدف إلى التحسين الفردي والاجتماعي

٤- يستجيب للمواقف الاجتماعية

٥- بحث جماعي للاضطرابات والمشكلات التي يشعر بها الناس بوجه عام

٦ - يركز على التغيير وأن التغيير الذاتي هو بداية الطريق إلى ذلك.

٧- يقبل ممارسوه تحمل مسئولية أعمالهم الخاصة.

من المستفيدون من بحوث العمل؟

١. المعلمون الباحثون.
٢. معلمو الفصل.
٣. الطلاب.
٤. مجتمع المدرسة.
٥. أولياء الأمور.
٦. المجتمع المحلى.
٧. الإداريون.
٨. مجال الدراسات التربوية.

المحور الثاني: الأصول الفلسفية والتاريخية والتربوية لبحث العمل

أولًا: اتجاهات استخدام بحث العمل في التربية وأصوله الفلسفية

رغم اتفاق كثير من المهتمين على أن الأصول التاريخية لمنهج بحث العمل في التربية ترجع للأعمال المبكرة لـ جون ديوي **John Dewey** خلال العشرينيات من القرن الماضي، وكيرت ليفين خلال الأربعينيات، وأن كورى **Stephen Corey** أستاذ بكلية المعلمين بجامعة كولومبيا هو أول من أدخل مصطلح بحث العمل إلى المجتمع التربوي عام ١٩٤٩، فإن الآراء اختلفت حول البداية لاستخدام منهج بحث العمل في التربية وأصوله الفلسفية، وقد انقسمت هذه الآراء إلى اتجاهين أساسيين:

الاتجاه الأول: يرى أنصاره وعلى رأسهم كل من تشين **Chein**، وكوك **Cook**، هاردنج **Harding** أن كيرت ليفين **K.Levin** رائد نظرية المجال في التعلم هو أول من

استخدم بحث العمل في التربية، وذلك من خلال بحوثه ودراساته في حركة ديناميكيات الجماعة Group Dynamics Movement في الفترة التي تلت انتهاء الحرب العالمية الثانية مباشرة، وبالتحديد عام ١٩٤٦م. ويؤكد هذا الاتجاه أنه الأب الروحى لاستخدام بحث العمل، (وقد انتشر استخدام بحث العمل خلال الخمسينيات على أيدى كورى Stephen Corey الأستاذ بكلية المعلمين جامعة كولومبيا، ثم دخل مرحلة الكمون وعدم الاهتمام خلال الستينيات نتيجة لارتباطه بالاتجاه الراديكالي في الفكر الإنساني.(Stephen ,1995, 949)

ثم عاد إلى الانتشار من بداية السبعينيات على أيدى كل من لورانس استنهاويس .L Stenhouseوجون إليوت John Elliot في بريطانيا والتي امتدت ما بين أواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين، حيث يشير أنصار هذا الاتجاه وجود بعض الأدلة والشواهد التي تبرهن على ذلك ومنها جهود كل من كوليار Colier ١٩٤٥م، وكورى Corey ١٩٥٣م، وليبيت Lippitt، ورادك Radke ١٩٤٦م.

واتفق هؤلاء على أن كوليار استخدم مصطلح بحث العمل قبل ليفين عندما كان يجرى دراساته عن شئون الهنود الحمر، حيث كتب آنذاك: "بما أن الممارسين المهنيين والإداريين يقومون بتنفيذ النتائج التى تتوصل إليها البحوث والدراسات فى مجالات عملهم، فمن حقهم المشاركة فى تقويم هذه النتائج، بالإضافة إلى ضرورة مشاركتهم فى ابتكار الطرق والحلول المناسبة للمشكلات التى تواجههم فى عملهم، أو تفسير الظاهرات التى تحيط بهم، وخاصة أن البحث غالبًا ما يعبر عن حاجاتهم المرتبطة بطبيعة العمل الذي يقومون به".

وأشار ماكرنان J.Mckernan (McKiernan, 1987, 12-17) إلى أنه توجد أمثلة عديدة متضمنة في الأدب التربوي تؤكد مشاركة المعلمين في المناهج وحل المشكلات قبل عام ١٩٤٦م، ومن ثم يمكن القول أن كيرت ليفين يمكن أن يمثل مرحلة تحول في بحث العمل الذى بدأ منذ أيام جون ديوي عام ١٩١٠م.

ثانيًا: الحركات الفلسفية والتاريخية لبحث العمل في التربية

وأيًا كان الاختلاف بين المهتمين ببحث العمل فى بدايته التاريخية، فإنهم يتفقون أنه تأثر فلسفيًا وتاريخيًا بأربع حركات فى التربية هى:

(١) حركة العلم فى التربية The Science in Education Movement التى بدأت فى الانتشار منذ أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين على أيدى

مجموعة من العلماء منهم الاسكتلندى بين Bain الذى أصدر كتابه التربية كعلم Education as Science عام ١٨٧٩م، والأمريكي بون Boone الذى أصدر كتابه علم التربية Science of Education وجون ديوى الذى أصدر كتبه كيف نفكر How We think عام ١٩١٠م، ومصادر علم التربية The Sources of a Science of Education عام ١٩٢٩م، هذا إلى جانب تأسيس الجمعية القومية لدراسة التربية National Society for the Study of Education. وقد أشار بون فى كتابه السابق إلى أننا إذا أردنا الحصول على نتائج ثابتة إلى حد ما فإننا فى حاجة إلى معلمين ملاحظين لتنفيذ الأهداف والمهام اليومية، ويتميزون بالتفتح العقلى والتفكير الناقد.

وربما يكون أكثر الكتب تأثيرًا على استخدام بحث العمل خلال هذه الفترة هو كتاب البحث للمعلمين Research For Teachers الذى أصدره باكنجهام Buckingham عام ١٩٢٦م وأشار فى أحد فصوله تحت عنوان المعلم كباحث The Teacher as Research Worker إلى أن كلا من التدريس والبحث يجب أن يكونا مطلبين رئيسيين لأعضاء هيئة التدريس ليس فى الجامعات ومؤسسات التعليم العالى فقط، ولكن للمعلمين فى المدارس العامة أيضًا.

(٢) حركة التقدمية التجريبية Experimentalism-Progressivism Movement. ونظرًا لتأثير جون ديوي وجهوده التربوية فقد ظهر ارتباط واضح بين هذه الحركة وحركة علم التربية السابقة، حيث أشار إلى طريقته العلمية كمنطق وطريقة يمكن أن تستخدم في مجالات مختلفة منها علم الجمال Aethetics والأخلاق Ethics والمنطق Logic وعلم المعرفة Epistemology وكذلك التربية، وقد تحدث في كتابه مصادر علم التربية إلى المعلم الباحث بقوله: "من الصعب أن تحل المشكلات المرتبطة بالمقررات الدراسية التى يتعامل معها الباحثون دون مشاركة فاعلة من هؤلاء الذين يتفاعلون مباشرة مع العملية التدريسية" (McNiff,2007,18).

وبناءً على ذلك ظهرت بعض المحاولات من جانب السلطات التعليمية المحلية بالولايات المتحدة الأمريكية لمشاركة المعلمين فى بناء المناهج الدراسية وتطويرها، والأمثلة على ذلك كثيرة منها دراسة ولاية فرجينيا عام ١٩٣٤م، ودراسة الثمانى سنوات عام ١٩٤٢م، والدراسة التى قام بها أعضاء الهيئة الجنوبية فى المدارس الثانوية والكليات Study Reported by the Staff Of the Southern Association in Secondary Schools and Colleges وتعتبر هذه الدراسة مشروعًا لبحث العمل حتى إذا ولم يكن عنوانها استخدام بحث العمل، وكذلك برنامج Head Start للأطفال المحرومين فى بريطانيا، وقد أشار فيردوين Verduin إلى

هذه الفترة بأنها فترة بحوث العمل التعاونى Cooperative Action Research حيث تعاون فيها المعلمون مع الباحثين الخارجين.

وكما سبق أن ذكرنا بأنه رغم أن كيرت ليفين ليس أول من استخدم وكتب عن بحث العمل، فإنه قام ببناء نظرية علمية فى التعلم، وجعل من منهج بحث العمل استقصاء محترمًا يستخدمه العلماء الاجتماعيون. وناقش ليفين منهج بحث العمل فى نظرية المجال على أنه صورة من البحث التجريبي استهدف كيفية استخدام الجماعة للتجريب فى دراسة المشكلات الاجتماعية، لاعتقاده أن الوظيفة الأساسية للعلوم الاجتماعية هى تقديم خدمات اجتماعية، وأن البحث الذى لا ينتج شيئًا سوى الكتب لن تكون له فائدة.

وقد انتشر استخدام بحث العمل فى دراسات العلاقات الاجتماعية وديناميات العمل فى المواقف الصناعية منها دراسة وايت وهاميلتون Whyte &Hamiltonn عام ١٩٤٦م فى معهد ماسوشيستش بالولايات المتحدة الأمريكية، ودراسة معهد تافيستوك فى بريطانيا، والدراسات والمقاولات والتجارب التى استخدم فيها منهج بحث العمل ونشرتها مجلة العلاقات الإنسانية Journal of Human Relations.

فى نهاية الخمسينيات شهد منهج بحث العمل إهمالاً كبيرًا بفترة ما بعد الحرب العالمية الثانية، وأصبح عرضة للهجوم. وقد أشار سانفورد Sanford إلى أن هذا الهجوم ارتبط بحالة الانفصال والتى حدثت بين العلم والممارسة.

(٣) **حركة إعادة تنظيم المناهج:** وقد ظهرت هذه الحركة فى الولايات المتحدة الأمريكية بعد الحرب العالمية الثانية، وقد اعتمدت على استخدام منهج بحث العمل في إعادة بناء وتنظيم المناهج، ومن رواد هذه الحركة كوري Correy وتابا Taba، وبريدى Brady وروبنسون Robinson، ووون Wonn. وقد أشار كوري Correy إلى ذلك بقوله: إن بحوث العمل يمكن أن تساعد بدلالة في تحسين المناهج، ذلك لأن الممارسين يمكن أن يستخدموا استقصاءاتهم البحثية الخاصة في تحقيق ذلك.

أما تابا فقد أشار إلى أن بحث العمل يمكن أن ينجح لأن الممارسين سوف يستفيدون من ثمرات بحوثهم الخاصة. ومن التجارب التي استخدم فيها بحث العمل فى تطوير المناهج التى أجريت من خلال التعاون بين معهد هوارس مان – لينكولن Horace Mann – Lincoln Institute وبعض المدارس لاستخدام بحث العمل كأداة أساسية لتطوير المناهج.

المحور الثالث: خصائص بحث العمل وعلاقته بالمناهج العلمية الأخري

أولًا: خصائص بحث العمل

يتميز بحث العمل بمجموعة من الخصائص منها:

١. هو إجراء فورى يصمم للتعامل مع مشكلة ملموسة يتم مواجهتها فى موقف واقعي مباشر، مع ضرورة استمرار التعامل مع هذه المشكلة باستخدام وسائل وأدوات بحثية متعددة كالمقابلات والمقاييس والاستبيانات وغيرها، مع استخدام عملية التغذية المرتدة لإحداث تعديلات أو تغييرات بهدف تحسين الأداء وحل المشكلة.

٢. أن هذا المنهج لا يتعامل مع متغير أو عدد محدد من المتغيرات المستقلة مع ضبط أو عزل المتغيرات المستقلة الأخرى مثل بعض مناهج البحث الأخرى، ولكنه يتعامل مع مجموعة المتغيرات أو العوامل فى تفاعلها مع بعضها البعض، مثال ذلك عندما يتعامل بحث العمل مع العوامل الشخصية والأسرية والمدرسين والمجتمعية فى تفاعلها مع بعضها وتؤدى إلى تسرب بعض التلاميذ من المدرسة فى قرية أو منطقة محددة.

٣. الطبيعة التعاونية لبحث العمل تؤدى إلى تحسين الممارسة بالنسبة للمعلمين، ذلك لأن المعلمين الذين يعملون فى مدرسة واحدة، وتواجههم مشكلة معينة تدفع كل واحد منهم إلى ضرورة تحسين أدائه والمشاركة بفاعلية فى حل هذه المشكلة تحت ضغط الجماعة.

٤. أنه بحث إمبريقى يعتمد على جمع البيانات والمعلومات باستخدام أدوات وأساليب مختلفة، ومناقشة هذه المعلومات والبيانات جماعيًا أثناء العمل فى البحث أو المشروع، ويتم تقويمها والعمل على أساس هذا التقويم (أى عن طريق التغذية المرتدة).

٥. أن بحث العمل الذى يتبنى وجهة نظر أكثر مرونة فى الطريقة العلمية، بمعنى أنه يقلل من التشدد العلمى الذى يتميز به المنهج التجريبى بصفة خاصة؛ ذلك لأن منهج بحث العمل يتعامل مع مشكلة واقعية فى موقف معين، وبالتالى تكون العينة غير ممثلة والتجربة قلية الضبط.

٦. بحث العمل كحركة معلم باحث، عبارة عن أيديولوجية نتعلم خلالها أن الممارسين (المعلمين) يمكن أن يكونوا منتجين كما هم مستهلكون لاستقصاء المنهجى.

كما يتميز بحث العمل بمجموعة أخري من الخصائص هي:

١-يشير بحث العمل - كمصطلح- إلي طريقة عملية للنظر إلي عملك الخاص لاختبار ما إذا كان يتفق مع ما تريد.

٢-مفتوح النهاية أي لا يبدأ بفروض مسبقة أو ثابتة، بل بفكرة تحاول تنميتها.

٣-له مداخل مختلفة ؛ توجد حوارات وجدالات كثيرة مع التركيز علي كيف يعمل، ومن يعمله، ولماذا، ونتائجه.

٤-يعتمد علي عدد من المبادئ علي المستوي النظري علي الأقل.

٥-العدالة والديمقراطية حق لكل فرد؛ حق كل فرد أن يظهر ماذا ولماذا يكون لديهم اهتمام خارج عن تعلمهم لكي يحسنوا عملهم (Ferguson,2011,6).

ثانيًا: علاقة بحث العمل بطرق البحث العلمى الأخرى

كما سبق أن أشرنا أن بحث العمل منهج علمي، ولكنه منهج غير تقليدي، بمعنى أنه لا يلتزم بتطبيق خطوات المنهج العلمي كما يجب أن تكون، ولكن له طريقته التى تميزه عن غيره من مناهج البحث العلمي الأخرى، ومن أوجه التشابه والاختلاف بين منهج بحث العمل ومناهج البحث العلمي الأخرى ما يلى:

(١) أوجه التشابه والاختلاف بين منهج بحث العمل ومناهج البحث العلمي الأخرى

يوضح الجدول التالي بعض أوجه التشابه والاختلاف بين منهج بحث العمل وغيره من مناهج البحث العلمي الأخرى كما يلي:

جدول (١) أوجه التشابه والاختلاف بين منهج بحث العمل ومناهج البحث العلمي

بحث العمل	طرق البحث العلمي الأخرى
- يستخدم الطريقة العلمية في البحث.	- تستخدم الطريقة العلمية في البحث.
- يتخفف في تطبيق شروط المنهج العلمي.	- تتشدد إلى حد كبير في تطبيق شروط المنهج العلمي.

- يركز على مشكلة معينة في موقف معين.	- تطبق في الغالب على أعداد كبيرة من الحالات.
- يدرس المتغيرات في تفاعلها في الموقف الواقعي.	- تتحكم بقدر المستطاع في المتغيرات المستقلة.
- يدرس ما هو موجود من مشكلات أفراد فى الموقف الحياتي.	- تستخدم أساليب عديدة في اختيار العينات.
- يصعب تعميم نتائجه في مواقف أخرى.	- يمكن تعميم بعض نتائجها على مواقف مماثلة.
- يسهم مباشرة في حل المشكلات.	- لا يدعى الإسهام المباشر في حل المشكلات.
- حل المشكلة في المرتبة الأولى بين أهدافه.	- إنتاج المعرفة في المرتبة الأولى بين أهدافها.
- حالة وسط بين الذاتية والموضوعية.	- تتسم بالموضوعية إلى حد كبير.
- هدفه حل المشكلات اليومية المباشرة التي تواجه الممارسين التربويين.	- هدفها حل المشكلات الأكثر عمومية.

(٢) خصائص المناهج الكمية والمناهج الكيفية

ويرى البعض أن منهج بحث العمل يمثل همزة الوصل بين المناهج الكمية والمناهج الكيفية حيث أن كلا منها لها خصائصها وهى:

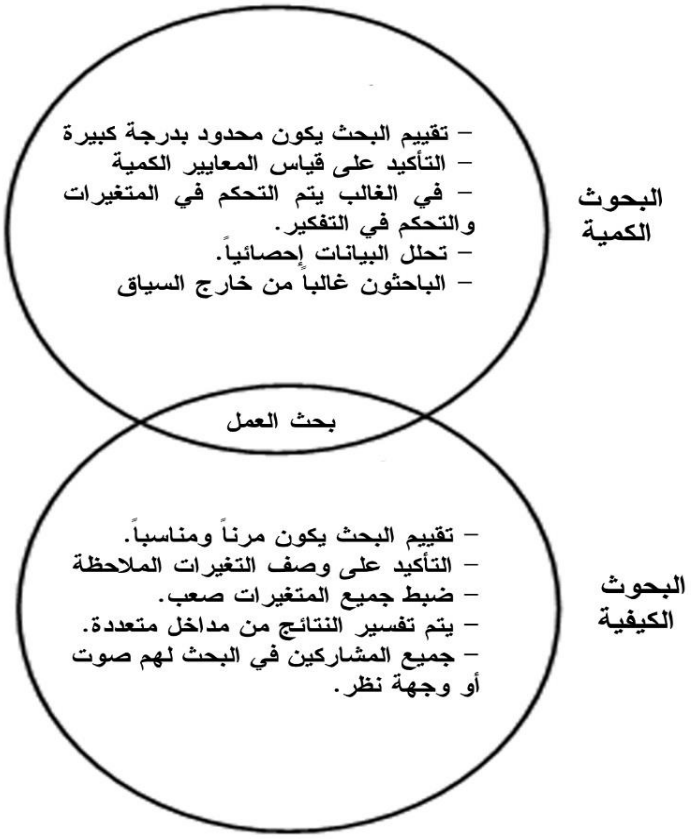

شكل (٣) علاقة بحث العمل بالبحوث الكمية والبحوث الكيفية

"**Source: Alberta University, 2000, 4.**"

(٣) خصائص البحوث الكمية

- **يتم تصميم البحث وتحديده مسبقا إلى حد كبير.**
- **التأكيد على قياس المعايير الكمية**
- **يمكن التحكم في المتغيرات ومعالجة المتغير المستقل.**
- **يتم تحليل البيانات احصائيًا**
- **الباحثون في الغالب من خارج سياق العمل**

(٤) خصائص البحوث الكيفية

- مرونة التصميم ومناسبته للمشكلة.
- التأكيد على وصف التغيرات التي يتم ملاحظتها.
- صعوبة ضبط جميع المتغيرات.
- يتم تفسير النتائج من مداخل متعددة.
- يمكن أن يعبر جميع المشاركين في البحث عن وجهات نظرهم في نتائج البحث.

أما بالنسبة لمنهج بحث العمل نشط، ويتمركز حول المعلم ويسمح له بالتركيز في مجال ممارساته التدريسية الخاصة، وأن هدفه دائمًا تحسين الممارسة، وأنه يتعامل مع النظرية والممارسة بطريقة ديناميكية، فتظهر النظرية من الممارسة الخاصة بالمعلم وهذه النظريات يتم اختبارها بالأدلة، فالنظرية والممارسة تغذي كل منهما الأخرى، وأنه تأمل ذاتي ينمي الممارس التأملي وأنه غالبًا صغير في المقياس ومتخصص جدًا في التركيز.

المحور الرابع: مجالات بحث العمل في التربية وخطوات تطبيقه

أولًا: مجالات استخدام بحث العمل في التربية

تتعدد مجالات استخدام منهج بحث العمل في التربية كإحدى الطرق العلمية لحل مشكلاتها وتطويرها وتحسين الأداء فيها، ومن هذه المجالات:

١. الاتجاهات والقيم والمبادئ السائدة بين المشاركين في العملية التعليمية من معلمين وإداريين وطلاب.
٢. طرق واستراتيجيات وأساليب التدريس والوسائل التعليمية.
٣. المناهج الدراسية: تقويمها وتصميمها وتطويرها.
٤. المعلمون: مشكلاتهم، وتدريسهم أثناء الخدمة، وتكوينهم المهني.
٥. الإدارة التعليمية والمدرسون، وإدارة الفصل، والتفاعل الاجتماعي داخل الفصل الدراسي.
٦. التخطيط والتجديد التربوي والتقويم التربوي.
٧. المشكلات الطبيعية التي تحدث في المواقف الواقعية داخل الفصل والمدرسة.
٨. التغذية المرتدة للنظام التعليمي واستخدامها في تطويره وتحسين الأداء فيه.

٩. المؤسسات التربوية وديناميات التفاعل الاجتماعي فيها مثل حجرة الدراسة، والمدرسة، والأسرة، ووسائل الإعلام.....إلخ.

أما خطوات تطبيقه فقد حددها جلانز (Glanz) بأربع خطوات أساسية تتمثل في:

الخطوة الأولى: اختيار المشكلة أو القضية، وتتضمن هذه الخطوة ثلاث خطوات فرعية

١- حدد ما تريد تناوله بالبحث.

٢- اطرح بعض الأسئلة البحثية عن المشكلة التي اخترتها بالبحث.

٣- ضع خطة للإجابة على هذه الأسئلة، ما الذي تريد تناوله بالبحث والدراسة، ما مجال اهتماماتك؟

ثانيًا: مؤشرات الاهتمام باستخدام منهج بحث العمل في التربية

توجد بعض المؤشرات والأدلة التي تؤكد زيادة الاهتمام باستخدام منهج بحث العمل في التربية خلال السنوات الأخيرة خاصة في الدول النامية، ومن هذه المؤشرات:

١. ظهور بعض المقررات الدراسية تحمل مسمى بحوث العمل Action research ضمن الخطط الدراسية لبرامج إعداد المعلمين في كثير من كليات التربية، وكذلك ضمن برامج الدراسات العليا التي يلتحق بها المعلمون للحصول على درجات علمية أعلى في التربية، وقد أشار إلى ذلك كل من جور Gore، وزيكنر Zeichner1999، وروس Ross 1987، لامسون Lampson وزيلازيك Zelazek 1992.

٢. استخدام بحث العمل ضمن برامج تدريب المعلمين أثناء الخدمة كإحدى طرق البحث العلمية في المجالات التربوية المختلفة، ومثال تلك الأعمال التي نشرت حديثًا تحت إشراف جمعية التوجيه وتطوير المناهج The Association for Supervision and Curriculum Development (ASCI).

٣. كثرة الدراسات العلمية التي نشرت في الدوريات التربوية المعاصرة والتي تناولت منهج بحث العمل كإحدى الطرق العلمية في تناول المشكلات التربوية، وكذلك بعض الكتب والمراجع التي أفردت أجزاءً منها وأحيانًا جميعها لبحث العمل.

٤. انتشار استخدام منهج بحث العمل في كثير من المواقف السلوكية في مجالات الصناعة والصحة وغيرها، وقد أشار إلى ذلك كل من كلارك Clark 1979 ومارش Marsh وزملاؤه ١٩٨٤م، وماكرنان Mckernen 1988، وسيلاندر Selander1987، ووالاس Wallace 1987.

٥. زيادة اعتماد الحكومات والجامعات ومراكز البحوث التربوية والهيئات الدولية على أسلوب فريق العملTeam Work في دراسة المشكلات والقضايا التربوية، لما لهذا الأسلوب من مميزات تساعد في تناول المشكلة أو القضية من جوانبها المختلفة، بالإضافة إلى فائدتها العلمية أكثر مما تقدمه البحوث الفردية.

٦. محاولات بعض الجامعات – وخاصة في الدول المتقدمة – إلى تغيير مسميات أقسامها التربوية التقليدية التي تعتمد على المناهج العلمية المعروفة، إلى مسميات تتفق مع واقع التعليم في المجتمع، وهذا يتفق مع اهتمامها باستخدام بحث العمل.

ثالثًا: خطوات تطبيق بحث العمل

يمكن أن يتم تطبيق بحث العمل وفقًا للخطوات الآتية (Elliott, 1991, 182-184):

١. تحديد المشكلة التي يمكن إدراكها يوميًا في المواقف التعليمية / التعلمية، وتقويمها، وصياغتها.

٢. تحديد فريق البحث حسب طبيعة المشكلة وظروفها، ويتكون الفريق الأمثل من معلمين وباحثين خارجيين، ومستشارين أو مقدمي نصيحة، وممولين.

٣. تحليل المشكلة وتحديد العوامل المسببة لها، وصياغة الأسئلة، مع تزكية بعض الخطوط البديلة من المداخل لاختيار إحداها، وتعتبر هذه الخطة أهم خطوات بحث العمل لأنها تضع بذورًا لحل المشكلة.

٤. مراجعة الأدبيات والدراسات السابقة المرتبطة بالمشكلة، للاستفادة منها، وخاصة الدراسات المقارنة للتعرف على أهدافها وإجراءاتها والمشكلات التي ركزت عليها.

٥. صياغة فروض الدراسة أو الأسئلة البحثية الخاصة بها.

٦. إجراءات الدارسة وتشمل اختيار العينة، والإدارة، والأدوات، والمواد التعليمية، وطرق التدريس، وتحديد المهام والمصادر وغيرها.

٧. تطبيق أدوات الدراسة لجمع البيانات من مقابلات وملاحظات، وكتابة تقارير، ومتابعة المهام، وتحويل التغذية المرتدة إلى فريق البحث، وتفريغ البيانات وتحليلها.

٨. تفسير النتائج ومناقشتها.

وبمعنى آخر يمكن تقسيم بحث العمل إلى مرحلتين أساسيتين:

١. مرحلة تشخيصية: وتشمل تحديد المشكلة، وتحليلها، وفرض الفروض.

٢. مرحلة علاجية: وتشمل اختبار صحة الفروض، ويتم هذا الاختبار في مواقف حياتية واقعية داخل حجرة الدراسة أو المدرسة والظروف المحيطة بها.

رابعًا: الاتجاهات العالمية المعاصرة لاستخدام منهج بحث العمل في التربية

إن بحث العمل عبارة عن إحدى صور البحث التعاوني المشارك الذي يسعى إلى تحسين فهم الممارسات والأوضاع التربوية الواقعية، ويشارك فيه كل من له دور في العملية التربوية سواء بطريق مباشر أو غير مباشر.

وإذا كانت معظم الآراء السابقة تتفق على أن الولايات المتحدة الأمريكية تمثل نقطة البداية التاريخية التي انطلق منها بحث العمل، فإنه ما لبث أن انتشر في كثير من دول العالم المعاصر كأحد مناهج البحث العلمي الرئيسة في تناول كثير من المشكلات التربوية المعاصرة، مرتكزًا على مدرستين فكريتين؛ إحداهما أكثر تعاونية تدور حول فكرة العلم التربوي النقدي **Critical Educational Science**، والثانية أكثر فردية وتدور حول فكرة الاستدلال العملي **Practical reasoning** وذلك على أيدى جماعات فكرية كثيرة لكل منها وجهة نظرها نحو النظرية والتطبيق في منهج بحث العمل **Garner, (1996,48)**. وتعتبر أستراليا واحدة من أكثر الدول استخدامًا لبحث العمل خاصة جامعة بيكين **Beakin University** التي استندت على أفكار كل من عالم النفس الاجتماعي ليفين **Lewin**، وستنهاوس وزملاؤه في جامعة إيست أنجليا **East Anglia** البريطانية، وأفكار مدرسة فرانكفورت **Frankfort School** في العلم الاجتماعي النقدي، وركزت هذه الجامعة في استخدامها لبحث العمل على أهمية العمل التعاوني في البحث متفقة في ذلك مع فكرة باولو فيريرى **Freire** عن العمل الثقافي للحرية **Cultural action for freedom**.

وفى بريطانيا ظهر الاهتمام باستخدام بحث العمل في التربية على يد ستنهاوس صاحب فكرة المعلم كباحث، وكذلك مشروع فورد التدريسي **The Ford Teaching Project** الذى قام بتنفيذه كل من إليوت **Elliott** وأديلمان عام ١٩٧٣م إضافة إلى أعمالهما البحثية في استخدام بحث العمل في المدارس والكليات والتي نشرت الكتب والدوريات العلمية، وكذلك مشروعها عن شبكة بحث العمل في حجرة الدراسة **Action Research Network in Classroom**، وقد تحول استخدام بحث العمل في بريطانيا تدريجيًا من البحوث الفردية التي يقوم بها المعلمون حول ممارستهم المهنية إلى البحوث المشتركة بين مجموعات منهم. وكذلك من التركيز بين التناقض وعدم الاتساق بين النظريات والاتجاهات السياسية والثقافية والاجتماعية من ناحية ثانية، وكذلك التحول من دراسة العمل من خلال وجهات النظر التفسيرية والممارسة في العلوم الاجتماعية وعلاقتها

بـالنمو المهنـي، إلـى العمـل الأكثـر ارتباطًـا بعلـم الاجتمـاع التـأملي Reflective Sociology والنظرية النقدية Critical Theory.

أمـا فـي الولايـات المتحدة الأمريكيـة فقد انتشر الاهتمـام باستخدام بحث العمـل فـي التربية مع إسهامات كل من كورى Corey، وشواب Schwab ١٩٦٩م عن الاستدلال العلمـي Practical reasoning وشوٍ Schon ١٩٨٣م وأفكاره عن الممارس المتأمل Reflective Practioner وطرق تشجيع المعلمين على المشاركة في البحث بهدف نمـوهم المهنـي، وسمـوليان SMuyan ١٩٨٩م وأسـاتذة كليـات التربيـة الـذين استخدموا بحث العمل ضمن برامج إعداد المعلمين وتدريبهم أثنـاء الخدمـة. وأخيرًا أعمـال كل من جافينا Gavena وهورتون Horton وزملائهم بمركز هايلاندر Highlander Center بولاية تينيسى ١٩٩١م.

وفى أوربا بدأ الاهتمام باستخدام منهج بحث العمل يتزايد مـع بدايـة التسعينيات حيث أعمال كل من كلافكى Klafki ١٩٨٨م، وفينجر Fiagner في ألمانيا، وبوسك Posch ١٩٩٠م فـي النمسـا، ورازادا Razada ١٩٨٩م فـي إسبانيا، وقد تـأثر هؤلاء البـاحثون بأفكار كل من هابرمـان haberman عن العمل الاجتمـاعي النقديـة، والحركـة الإنجليزيـة لبحث العمل، والاتجاه الفينومونولوجى.

ولم يقتصر الاهتمام باستخدام بحث العمل على دول أوربا وأمريكا وأستراليا بل تعدى ذلك إلى دول أمريكا الوسطى والجنوبية الذي انتشر مع ازدياد الاهتمام بتطبيق أفكار باولو فريرى فـي التربيـة الشـعبية. ثـم مـا لبث أن انتقل هذا الاستخدام إلـى بعض دول أفريقيـا وجنوب شرق آسيا مع جهود المنظمات غير الحكوميـة فـي التربيـة والمشروعات التعليميـة الرسمية وتنمية المجتمع من خلال برامج تعليم الكبار.

ومع هذا الاهتمام المتزايد لاستخدام بحث العمل فـي التربيـة فـي كثير من دول العالم المتقدمة والنامية على حد سواء، فإنه ما زال حتى الآن بعيدًا عن تفكير كثير من الباحثين والحكومـات العربيـة المعاصرة رغـم أهميتـه الكبرى وتناولـه كثيـر مـن القضـايا والمشـكلات الواقعية التي تعاني منها أنظمتنا التعليمية.

المحور الخامس: مسئوليات المعلم في تطبيق بحث العمل

أولًا: أهداف استخدام بحوث العمل للمعلم

تتعدد أهداف استخدام منهج بحث العمل في التربية منها:

١. أنه طريقة ووسيلة لعلاج كثير من المشكلات الحياتية الواقعية التي تعوق العملية التعليمية داخل حجرة الدراسة والمدرسة.

٢. أنه يستخدم كطريقة ووسيلة لتدريب المعلمين قبل وأثناء الخدمة على كيفية استخدام مهارات وطرق وأساليب جديدة في البحث والتدريس، وكيفية التعامل مع المشكلات الواقعية، وتحسين سلوكياتهم كممارسين للعملية التعليمية.

٣. أنه يمثل منطقة اتصال قوية بين المعلم الممارس والباحث التربوي الأكاديمي، حيث يساعد في تحسين علاقات بعضهم ببعض لتحقيق أهداف النظام التعليمي.

ثانيًا: مسئولية استخدام منهج بحث العمل في التربية

١. يمكن لمعلم واحد أن يقوم باستخدام بحث العمل داخل حجرة الدراسة التي يعمل بها، وذلك عندما ينمو لديه إحساس بشيء ما داخل الدراسة يحتاج إلى تحسين أو تغيير سواء في العملية التعليمية / التعلمية، أو إعادة تنظيم إدارة الصف، أو التفاعل الاجتماعي بين التلاميذ، أو أساليب وطرق التدريس، ثم يقوم بترجمة هذه الأفكار إلى ممارسات داخل حجرة الدراسة، ويكون المعلم هنا فقيرًا من الناحية البحثية النظرية، ولكنه قوي من ناحية الممارسة الفعلية للبحث، مثل هذا المعلم إذا كان لديه معلومات كافية عن البحث العلمي في التربية وطرقه، وأدواته، يمكنه أن يترجم هذه الأفكار والمعلومات إلى ممارسات بحثية داخل حجرة الدراسة، أي أنه يمكن أن يكون الباحث والممارس في نفس الوقت. ويمثل هذا المستوى أبسط مستويات استخدام منهج بحث العمل حيث تتوافر فيه الخبرة مع قليل من الخلفية النظرية في البحث العلمي.

٢. يمكن لمجموعة من المعلمين والإداريين في مدرسة واحدة أن يقوموا باستخدام منهج بحث العمل لحل أية مشكلة يومية يمكن أن تواجههم أثناء العمل المدرسي. بشرط أن يكون التعاون والمشاركة الإيجابية الفعالة هما السمتين المميزتين في علاقاتهم بعضهم ببعض، ويمكن لهؤلاء المعلمين أن يستعينوا بباحث خارجي للمشورة أو النصيحة في الأسس النظرية للبحث، ومثل هذا المستوى مرحلة وسط بين مستويات استخدام بحث العمل.

٣. يمكن لفريق عمل يتكون من مجموعتين؛ إحداهما تمثل معلمين والأخرى تمثل باحثين خارجيين، ويعمل الفريق تحت إشراف وتمويل الحكومة أو إحدى المؤسسات العلمية المتخصصة في التربية، ويمكن أن تتعدى مشكلة البحث التي يتعامل معها هذا الفريق حدود مدرسة واحدة إلى مجموعة مدارس في بيئة محلية، ويمثل فريق البحث النموذج الأمثل لاستخدام بحث العمل حيث تتكامل

فيه الخبرة البحثية النظرية مع الخبرة العملية، وهو ما يطلق عليه النموذج التعاوني لبحث العمل.

ثالثًا: دور المعلمين في بحث العمل

يتحدد دور المعلمين في بحث العمل فيما يلي:

١-تطوير الأسئلة البحثية التي تعتمد على فضولهم وحب استطلاعهم عن عمليتي التعليم والتعلم.

٢-اختبار الفروض المرتبطة بعمليتي التعليم والتعلم.

٣-جمع المعلومات بطريقة منظمة من الطلاب وبمساعدتهم.

٤-المشاركة في مناقشة البيانات ومنهجية البحث مع زملائهم المعلمين

٥-تحليل البيانات وتفسيرها بدعم من زملائهم.

٦-مشاركة زملائهم وطلابهم وأعضاء المجتمع المحلى في التوصل إلى النتائج والاستفادة منها في مواقف مستقبلية مشابهة.(Haley, 1989,12)

رابعًا: الصعوبات التي تواجه المعلم الباحث

على الرغم من الجوانب الإيجابية العديدة الناتجة عن مشاركة المعلم كباحث في بحوث العمل، فإن هناك بعض الصعوبات التي يمكن أن تواجه مشاركته الإيجابية في هذا النوع من البحوث، والتي يمكن أن تؤثر على أدائه فيه، ومن هذه الصعوبات:

١-تقسيم العمل بين الباحثين والمعلمين: حيث إن الباحثين الخارجيين هم خبراء محترفون ومدربون على طرق البحث في العلوم الاجتماعية المختلفة، وأن عملهم الرئيس خارج المدارس، وبالتالي يمكن أن يكونوا محل شكوى من جانب المعلمين الباحثين؛ نظرًا لأنهم غالبًا ما يميلون إلى استخدام المدارس كمؤسسات لجمع البيانات لبحوثهم الخاصة. ومن ثمَّ فإن غالبيتهم ينظرون إلى من يعمل في هذه المدارس أنه عبارة عن مفحوص أكثر منه باحث متعاون. بمعنى آخر فإن غالبية هؤلاء الباحثين الخارجيين يفشلون في أن يضعوا في أذهانهم وجهات نظر المعلمين وأفكارهم ومفاهيمهم.

٢-مشكلة اللغة البحثية: فالباحثون الخارجيون غالبًا ما يميلون إلى استخدام مفاهيم ومصطلحات ونظريات وأدوات علمية حصلوا عليها من الأدبيات المرتبطة بالعلوم الاجتماعية، وهذه اللغة لا يتعامل معها المعلمون في الواقع، وبالتالي قد تمثل صعوبة للتفاهم بين أعضاء الفريقين.

٣-وقت إجراء التجربة: واحدة من أصعب المشكلات التي تواجه فريق بحث العمل، وتتمثل في تحديد الوقت المناسب لإجراء بحث العمل، وترجع أسباب هذه المشكلة إلى العبء التدريسي والإداري الثقيل الذي يقع على عاتق المعلم.

٤-مشكلة المهارات البحثية لدى المعلمين: حيث إن كثيرًا من المعلمين تعوزهم معلومات ومهارات وطرق وأساليب البحث العلمي، وخاصة طرق جمع البيانات، مما يؤثر بدوره في مشاركتهم الإيجابية في هذه البحوث ومدى استفادتهم منها، ويمكن أن تحل هذه المشكلة من خلال ممارستهم لطرق وأساليب البحث العلمي في الدورات التدريبية ومساعدتهم في الالتحاق بالدراسات العليا.

خامسًا: أمثلة لنماذج بحث العمل في التعليم

تتراوح بحوث الفعل في مسارها العلمي بين البحث والفعل فلا يمكن أن يسبق أحدهما الآخر، فالدارس يبحث لكي يفعل، ثم يفعل لكي يبحث عن حركة تغيير متواصلة ومرنة، فليست لها إجراءات معينة أو محددة، ويتم اتباعها وفق ترتيب محدد. لذلك تعددت وجهات النظر حول تلك الإجراءات، ولكنها اتفقت على الطبيعة الديناميكية للبحوث، وغالبا ما تأتي الإجراءات كما وصفها "كورت" **Kurt** في شكل حلزوني **Spiral**.

ومن هذه النماذج:

النموذج الأول: ووفقا لهذا النموذج تتكون توجد مجموعة من الخطوات تبدأ بالتخطيط ثم الفعل والحصول على حقائق مرتبة على هذا الفعل، والحلقة الأولية – وهذه الخطوات كما يصفها "كورت"-تتضح في(Mark, 2005,69)

الخطوة الأولي: وهي اختيار الفكرة بعناية في ضوء الإمكانات المتاحة، وفي بعض الأحيان يتطلب الأمر إجراء المزيد من البحث عن الحقائق، وإذا ما تحققت المرحلة الأولى من التخطيط بنجاح فسوف ينبثق عنها ما يسمي بخطة عامة، وهي خطة معدلة بالنسبة للفكرة الأساسية.

الخطوة الثانية: وتتكون من التخطيط فالتنفيذ والاستطلاع أو البحث عن الحقائق؛ بهدف تقويم النتائج التي تم الحصول عليها في هذه الخطوة، ثم الإعداد للتخطيط للخطوة الثالثة.

وقد طور " ستفين كيميس"**S. Kemmis** النموذج البسيط ذا الطابع الدوري لعملية بحث الفعل، ليتخذ شكلاً حلزونياً، تمثل كل دورة أربع خطوات. الخطة – التنفيذ – الملاحظة –التأمل. كما هو موضح بالشكل التالي:

شكل (٤) النموذج الحلزوني لتطبيق بحث العمل في التعليم

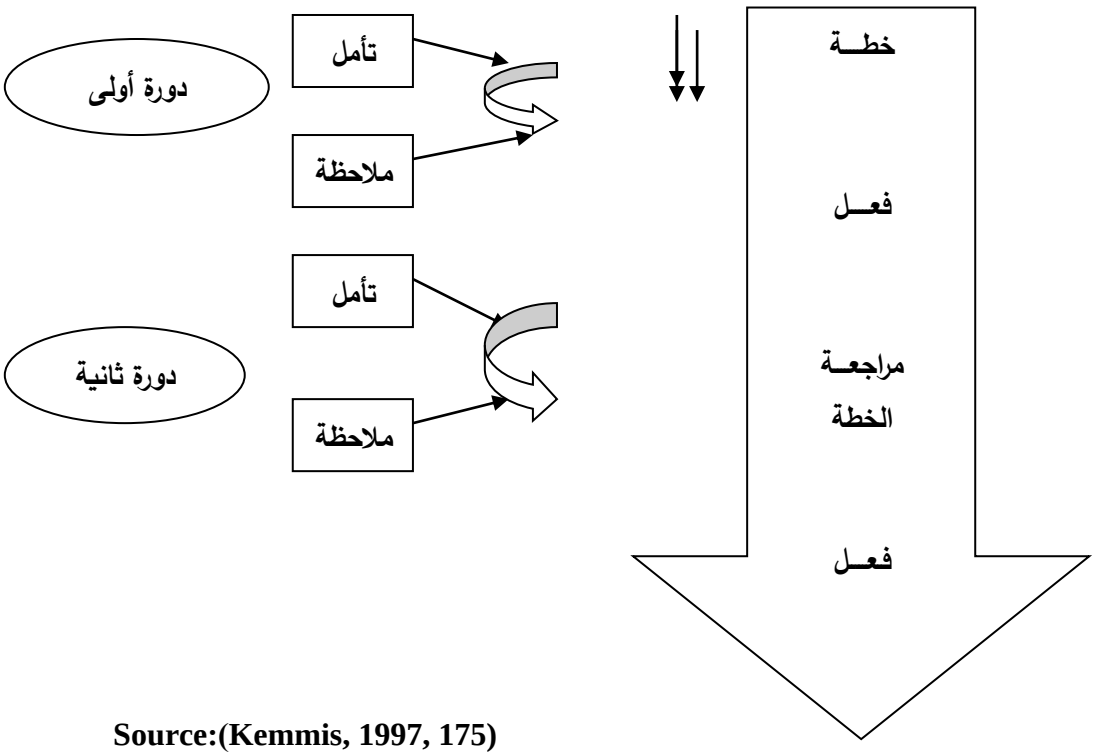

Source:(Kemmis, 1997, 175)

يتبين من الشكل أن كل دورة ستؤدي إلى زيادة في معرفة الباحث بالسؤال الأصلي مما يؤدي إلى حل السؤال أو إلى سؤال جديد.

كما أمد " جيرالد" Gerald بقائمة أكثر تفصيلا ليميز بين خمس مراحل تتصل بدائرة البحوث التي أجريت داخل كل دورة، بداية من تحديد المشكلة، وجمع البيانات بشكل أكثر تفصيلاً، بغرض التشخيص يتبعه وضع افتراضات لحل المشكلة، بحيث يتضح منها خطة العمل للتنفيذ، ثم يتم تجميع وتحليل البيانات المستخلصة من النتائج، مع تفسيرها في ضوء مدي نجاح العمل الذي يتم تنفيذه. عند تلك النقطة، ثم يعاد تقييم المشكلة، والعملية لنبدأ دورة أخرى، وهكذا تستمر هذه العملية حتى يتم حل المشكلة. يوضح ذلك الشكل التالي:(Gerald, 1983,120)

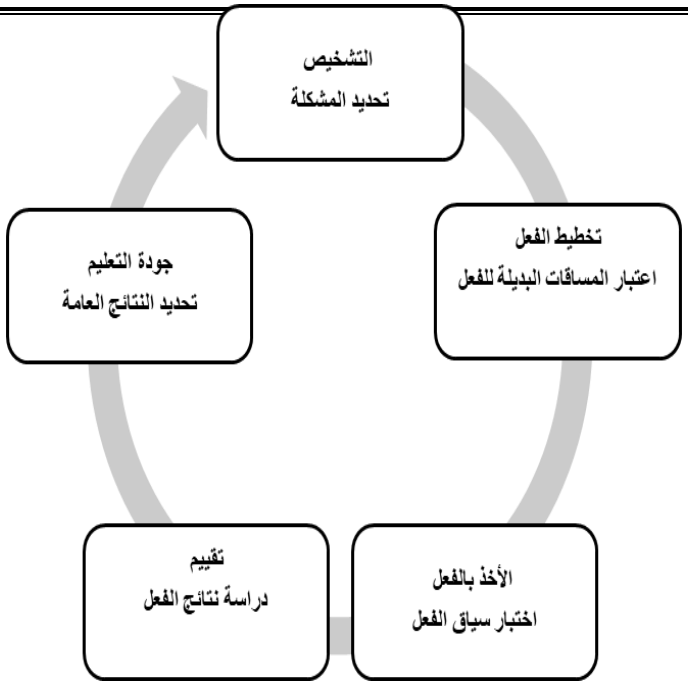

شكل (٥)

دورة حياة الفعل

بينما وصف " جارنر(Garner,1996,59) و تاكلا (Takala, 1667,46)" إجراءات بحث الفعل بأنها أحادية التوجه نحو الاستقصاء، ومن النموذج الحلزوني Cyclical Paradigm الذي يقود للتغيير عبر ثلاث مراحل:.

- **التعليم من أجل التغيير.**
- **التعليم من أجل الإبداع والابتكار.**
- **الابتكار من أجل التعلم.**

وفي كل مرحلة، يوجد اعتبار للتأمل الذاتي Self-reflection وتأمل تعاوني وحوار. يبدأ المربون في التركيز على السؤال، ويتكرر مع تعديل البيانات التي يتم جمعها واستمرار العملية، وبعد التأمل والمناقشة يتم تحديد السؤال البحثي مع تطوير خطة العمل، ثم يقوم المعلم بتنفيذ تلك الخطة والملاحظة، وحفظ البيانات في سجلات مفصلة.

بيد أن بحث الفعل أكثر من مجرد إتباع منهج كلى Holistic Approach لحل المشكلة، فهو يتطلب الاستعانة بعدة أساليب كيفية بغرض الاكتشاف والتفسير، أكثر من

اختبار صحة الفروض أو الأنواع الأخرى من التحليلات الإحصائية الأخرى. ومن أفضل تلك الأساليب ما يلي:

- المقابلات المتعمقة.
- ملاحظة المشاركين.
- الحكايات القصصية.
- دراسة الحالة.
- الدراسة الذاتية.

حيث يتم التوثيق بعناية لكل ما يحدث من خلال تقديم أوصاف الأفراد والأحداث، والمذكرات، ومحاضر الجلسات، والحقائب، والصور، والشرائط، ومجالات التفاعل والتسجيلات، والملاحظات الميدانية(Eileen, Schuler, 1996,58)

النموذج الثاني: هذه الأسئلة مثال تطبيقي لبحث العمل في حجرة الدراسة:

أأنت معلم/معلمة إحدى المواد الدراسية لطلاب صف دراسي معين، وتواجه مشكلة معينة في تدريسك، اتبع الآتي:

١-اختر مشكلة بحثك من المصادر الآتية:

--مشكلة تواجهك في عملك.

- موقف غامض تمر به.
- الفضولية وحب الاستطلاع.
- أنشطة التنمية المهنية والتدريب أثناء الخدمة.
- الموضوعات مجال الاهتمام.
- نتائج التغذية الراجعة(Kizilaslan, 2011,1)

٢-حدد المشكلة تحديدا دقيقا بقدر الإمكان

- أحدث تغييرا في طريقة تدريسك.
- لاحظ التغيير في طريقة تدريسك.
- فكر وتأمل في هذا التغيير.
- حدد مشكلة أخرى وأحدث تغيير آخر ولاحظه وفكر فيه.

٣-ريهام معلمة رياضيات للصف الثاني الإعدادي واجهت مشكلة في الأسئلة مثل:

- كيف يؤثر مدخل المعادلات على اهتمامات الطلاب وثقتهم في المادة؟
- كيف تتأثر قدرات الطلاب في حل المشكلات؟

- هل لجهودي في التدريس آثار لاحقة على طلابي؟

٤-أمل معلمة علوم تقوم بتدريس موضوع طبيعة العلم مستخدمة معلومات عن تاريخ العلم لتحقيق أهدافها، وتضمن البحث مقابلات

النموذج الثالث:

وقد حددت كل من Christy وكاتي Katy وميشيلMichelle أربعة خطوات لهذا النموذج تمثلت في:

- الخطوة الأولى وتمثلت في أن تحدد القضية أو المشكلة موضوع بحثك مع وضع الأسئلة التي سيجيب عنها بحثك.
- الخطوة الثانية يجب أن تقرأ مجلات وكتب كثيرة (لا تقل عن ثلاثة مصادر) ذات الصلة بموضوع بحثك والتي يمكن أن تساعدك في توجيه الاستراتيجية التي ستستخدمها لتطبيق هذا البحث.
- الخطوة الثالثة: تطوير استراتيجية للبحث من خلال تحديد جميع الخطوات التي ستنفذها، ويتضمن ذلك أيضا طرق وأساليب جمع البيانات التي ستحتاجها، وتحديد البيانات التي قمت بجمعها وتحليلها وتفسيرها، مع توقع نتائج كل أداة من أدوات جمع البيانات، والتوصل إلى نتائج يمكن الاعتماد عليها في اتخاذ القرارات.
- الخطوة الرابعة: وهي مرحلة اتخاذ القرار الذي يجيب عن الأسئلة التي طرحها الباحث والمرتبطة بموضوع البحث.

النموذج الرابع:

حدد جلانز(Glakz) أربع خطوات رئيسة لتطبيق بحث العمل في التعليم متمثلة في:

الخطوة الأولى: اختيار مجال المشكلة، وتتكون من ثلاث خطوات هي:

١- حدد المجال الذي تريد البحث فيه.

٢- اطرح بعض الأسئلة عن المجال الذي اخترته للبحث.

٣- ضع خطة تجيب عن هذه الأسئلة.

على سبيل المثال. اختر برنامج عمل للمدرسة الذي تريد البحث فيه، وأسأل: ما الذي أنا مهتم به في هذا البرنامج؟ ولماذا هذا الاهتمام؟ وحدد ما هو معروف وما هو في حاجة إلى معرفة عن هذا البرنامج، واسأل ما المعلومات

التي يجب أن تعرفها لكي تحسن البرنامج؟ وحدد جوانب خاصة للبرنامج التي تكون في حاجة إلى معرفة مثل:

- المخرجات المرتبطة بالطالب وخاصة التحصيل الدراسي.
- المنهج ويشير إلى فاعلية المواد التعليمية ومدى اتفاقها مع المعايير التي تحددها الوزارة.
- التدريس ويشمل استراتيجياته واستخدام التكنولوجيا في التعليم.
- المناخ المدرسي ويشمل أخلاقيات المعلم والعلاقات المتبادلة بين المديرين والمعلمين.
- مشاركة المعلمين في مجالس إدارة المدرسة والمناسبات العامة.

وإذا كنت مهتم بمشكلة معينة فأنت في حاجة إلى تحديد عدد من الأسئلة التي توجه بحثك على سبيل المثال أنت مهتم بضعف إقبال الآباء في المشاركة بمجالس الأمناء والمناسبات فمن الممكن أن تسأل الأسئلة الآتية:

- كيف أوثق هذه المستويات الضعيفة لحضور الآباء إلى المدرسة؟
- كيف أوثق العلاقة بين ضعف مستوى حضور الآباء إلى المدرسة ومشاركة الطلاب في المشروعات العلمية؟
- هل ارتفاع مستوى مشاركة الآباء للأعمال المدرسية يساعد في ارتفاع مستوى التحصيل الدراسي للطلاب؟

الخطوة الثانية: جمع البيانات

بعد أن قمت بتحديد مجال اهتمامك البحثي، ووضعت عددًا من الأسئلة، ثم وضعت خطة للإجابة عن هذه الأسئلة، وأنت الآن جاهز لعملية جمع البيانات، لنفترض أنك تبحث في مشروع تطبيق مشروع جديد على مستوى الإدارة التعليمية ومدى تأثيره في مستوى التحصيل الدراسي علي الطلاب وعلى اتجاهاتهم نحو العلوم، ولتحقيق ذلك عليك أن تستخدم اختبارات للتحصيل الدراسي قمت أنت بإعدادها أو اعتمدت على اختبارات سابقة الإعداد، وكذلك أدوات مسحية ومقابلات والبورتفوليو، ويمكنك الاستفادة أيضا من أية بيانات تساعدك في فهم تأثير مشروع العلوم الجديد.

وغالبا لا يعرف الباحثون كيفية تبويب البيانات وتنظيمها، لذلك يمكنهم الاستعانة بآخرين لديهم خبرة في هذا المجال، ويتم خلال هذه الخطوة تنظيم البيانات وتبويبها في جداول على مستوى حجرة الدراسة أو المدرسة أو الإدارة.

الخطوة الثالثة: تحليل البيانات وتفسيرها

بعد الانتهاء من جمع البيانات إجراءات التحليل والتفسير والاختصار، تقوم بعملية التحليل الإحصائي لكي تصل إلى بعض القرارات التي تساعدك في الإجابة عن الأسئلة التي طرحتها مسبقا.

الخطوة الرابعة: اتخاذ القرار

بناء على تحليل البيانات إحصائيا تصل إلى اتخاذ القرار الخاص بتطبيق مشروع العلوم الجديد وهو واحد من ثلاثة اختيارات:

-استمرار المشروع بدون تعديلات

-تغيير المشروع

-تعديل المشروع.

ونظرا لأن بحث العمل حلزوني فليس من الضروري أن تتوقف مع الانتهاء من هذا البحث، ولكن يمكن للمعلومات التي حصلت عليها أن تفتح مجالات بحثية جديدة.

دراسات تطبيقية باستخدام بحث العمل:

دراسة **Nicolette** عن تأثير التعليم المعتمد على الحقيقة على اتجاهات التلاميذ نحو التمركز حول الذات، واستهدفت هذه الدراسة المعتمدة على بحث العمل كشف التربية المعتمدة على الحقيقة يمكن أن تزيد من اتجاهات نحو التمركز حول الذات، وبدأ التدخل خلال أسابيع في إحدى مدارس ومنتسوري الخاصة بفرنسا، وشارك (١١) تلميذا وأولياء أمورهم في الدراسة، وتراوح أعمار التلاميذ المشاركين من (٢: ٣) سنوات، وتم جمع البيانات الكمية والكيفية من خلال استبيان لأولياء الأمور وأدوات مسحية للتلاميذ قبل وبعد التجربة والملاحظة اليومية، وصحيفة تأمل للمعلمين وكشف تحليل البيانات أنه كلما زاد تمركزهم حول الذات.**(Nicolette, 2017)**

دراسة **Mandy** حيث استخدم فيها بحث العمل للبحث عن تأثير حصيلة الأطفال في سن الرابعة للكلمات الإنجليزية، واشترك في هذه التجربة ١٤ طفلاً منهم اثنان لديهم لغة إنجليزية أساسية (اللغة الأم)، و(١٢) لديهم اللغة الإنجليزية لغة ثانية، وتم جمع البيانات بعد تسجيل انتباه التلاميذ أثناء القراءة الجهرية، والتغذية الراجعة لأولياء الأمور،

والصحيفة اليومية وتقويم التدخل قبل وبعد التجربة، وقد كشف أن الأطفال لديهم معلومات انجليزية قوية وظهر ذلك من خلال زيادة حفظ الكلمات ومشاركتهم.(Mandy, 2017)

دراسة Vinona &Murphy عن منهج بحث العمل يطور الممارسات في حجرة الدراسة وتأكيد المسئوليات التربوية، فبحث العمل بحث تطبيقي يعتمد على نموذج Paradigm ينتج عن الواقع بهدف التحسين المستمر في أساليبنا التربوية والتعليمية مردوداً مباشر للمعلمين داخل الحجرة الدراسة، ويزود بالوثائق التي تلبي مسئوليتنا التربوية.

وقامت هذه الدراسة بمراجعة عملية بحث العمل النظرية في التخطيط والتنفيذ والملاحظة والتفكير التأملي وإجراء تعديلات التي يتعاون فيها أعضاء هيئة التدريس الباحثون ويحللون بطريقة مباشرة ناقدة ويعكسون (ويتأملون) ويربطون ممارساتهم في حجرات الدراسة ويمارسون النظرية.(Vinona & Murphy, 2011)

التوصيات:

يري الباحثان أن هذه الدراسة وما تتوصل إليه من نتائج وتوصيات يمكن أن تقدم مجالات جديدة للبحث العلمي نظرًا لحداثة موضوعها في المجتمع المصري، وفى ختام الدراسة –لاستكمال الفائدة –يوصى الباحثان بما يلى:

١–إجراء دراسات ميدانية على المراحل التعليمية المختلفة باستخدام منهج بحث العمل.

٢–إجراء دراسات لفهم المعلمين لطبيعة بحث العمل وإمكانية استخدامه.

٣–استخدام أساليب جديدة لبحث العمل في الدراسات التربوية.

٤–تطبيق بحث العمل في برامج التعليم قبل المدرسي.

٥–دراسة الاتجاهات المعاصرة في بحث العمل وإمكانية تطبيقها في التعليم المصري.

٦–إجراء دراسات في التعليم الجامعي باستخدام بحث العمل.

المراجع

1. **Alberta University.(2000),Action Research Guide to Alberta Teachers, Alberta, The Alberta Teachers Association.**
2. **Best,John & James Kahn. (1993), Research In Education, Seventh |Edition London, Allyn And Bacon**
3. **Carr, W. & kemmis. S, (1989), Becoming Critical: Education Knowledge and Action Research, Brighton, Sussex. Flamer press.**
4. **Creswell, John W. (2008), Educational Research: Planning, Conducting and Evaluating, Quantitative and Qualitative Research, Third Edition, New jersey, Parson Education.**
5. **Dalen, Van & William Meyar. (1962), Understanding Educational Research, An Introduction, New York, Mac Graw-hill Book Company.**
6. **Eileen, T.Borgia , Dorothy Schuler (1996). Action Research in Early Education, E Do – Ps 96-11 Nov.**
7. **Elliott, John. (1991), Action Research For Educational Change, Milton Keynes, University Press.**
8. **Ferguson, Pip Bruce.(2011), Action Research For Professional Development, Concise advice For New Action researchers, Teaching Development, Wāhanga Whakapakari Ako, August**
9. **Fouche,Christa&LouraShubb. (2017), Action Researcher Encountering Ethical Review; a Literature Syntheses on Challenges and Strategies, Educational Action Research, Vol. 25, Pp23-34.**
10. **Garner, Betty (1996) Using Action Research : Challenges and Opportunities for Beginner. Paper presented at the greater st" Louis sixth Action Research Collaborative Conference st Louis Mo."**
11. **Gerald Susan(1983) Action Research: A Socio Technical Systems Perspective. Ed. G Morgan. London, sage publication.**
12. **Glanz,Jeffrey. (1999),Action Research Definition,Norwood, National Staff Development Council.**
13. **Haley, Marjorie Hall, (1989). Teacher Action Research , George Mason University**
14. **Hine, Gregory. (2011), The Importance of Action Research in Programs, Issues in Educational Research, Vol.23, No.3, Special Issue.**

15. **Jean McNiff(2007). Action Research for Professional Development Cones Advice for New Action Research, booklet, (2 nd ed.).**

16. **Kemmis, S. (1997), " Action Research", In P. Keeves, (Edsy.) Educational Research, Methodology And Measurement An International Handbook, Second Edition, New York, Longman, Pp. 173 – 179.**

17. **Kizilaslan, Iren. (2011), Action research, Azmir, Tttrkey,DokusEylal University.**

18. **Mandy. L .Downs. (2017), The Effects of Front- Loading Vocabulary for English as a second Language Learners, MAED, Saint Catherine University.**

19. **Mark, Smith (2005) Kurt Lewin Groups, , Experiential Learning and Action Research, the Encyclopedia of informal education, http: www.infed ,orgthiners/ et.lewin htm.**

20. **McKiernan, Jim. (1987),"Action Research And Curriculam Development, "Peabody Journal Od Education, Vol. 64, No. 2, Winter.P.p. 6-19.**

21. **Mekernan, James. (1991), Curriculum Action Research. A handbook Of Methods and Rresonrces for the Reflective Practioner, London. Kogan Page Limitted.**

22. **Nicolette A.Bidell. (2017) The Efects of Nat Based Learning on Children' Eco-centric, Attitudes, MAED Deg Saint Catherine University St. Paul, Minnesota.**

23. **Norton, Lin. (2012), Action Research in a University Context, Part 1, http./www.linnorton. co.uc/**

24. **Rapaport,R.N., (2002), Three Dilemmas iN Action Research Relations,23,Pp499-513.**

25. **Rock,Tracy& Barbara Levin.(2002), Collborative Action Research Progectives: Enhancing Preservice Teacher Dievelopment in Professional Development Schools, Teacher Education Quarterly,Winter.**

26. **Sandretto,Suzan. (2007), Action research for Social Justice: Discussion Paper,Willington, New Zeland, Teaching and Learning Initiative.**

27. **Segal, Sarah. (2009). Action Researching Mathematics Education: A Study of a Masters Program for Teachers. Ph.D., Montana State University.**

28. **Stephen .A. Small (1995) Action Oriented Research, Models and Methods, journal of marriage and family, No (57) November. PP. 940-955**

29. **Takala, Sauli(1667) Action Research in Classroom in Content Instruction Through a Foreign Language(a report on the 1992-93 TCE programme) ED 383 197.**

30. **Vinona R. Youngm Eve Rapp& James M. Murphy. (2011), Action Research; Enhancing Classroom Practice and Fulfilling Educational Responsibilities, Journal of Educational Pedagogies.**

31. **Walker, Melanic. (1988), Thoughts on the Practical of Action Research in South African School, Cambridge Journal of Education, Vol. 18, No. 2, Pp 147-154.**

32. **Young, Mick, Eve Rapp& James Murphy (2010), Action Research: Enhancing Classroom Practice and Fulfilling Educational Responsibilities, J. of Educational Pedagogies.**